الفصل الثاني

في سجون القمع الصهيونية

لمحة تاريخية

قبل الحديث عن مشاكل الأسرى وظروف أسرهم لا بد من إعطاء لمحة قصيرة عن ظروفهم السابقة مقارنة بالحالية.

في مطلع السبعينات كان الأسرى الفلسطينيون يعيشون في غرف أكثر اكتظاظا، وينامون على قطعة بلاستيك تسمى بالعبرية "جومي"، سمكها نصف سنتيمتر، وهي بمساحة متر وثمانين سم × 60 سم، ويحصل كل أسير على ثلاث بطانيات، واحدة يضعها فوق قطعة البلاستيك المذكورة والثانية يستعملها كمخدة والثالثة يستعملها كغطاء، لم يكن في السجون راديو، أو تلفزيون، أو قلم أو دفتر أو كتاب، الفطور عبارة عن نصف بيضة وأربع حبات زيتون، وقطعة مرجرينا وأربع قطع من الخبز التي تستخدم في التوست من الحجم الصغير، أما الأسرى اليوم فهم ينامون على أسرة غالبا من حديد، ولديهم أجهزة راديو، وتلفزيون، وكتب، وأقلام..الخ. لا يعني هذا أنهم يعيشون في ظروف إنسانية حسب مواثيق جنيف لكن أوضاعهم مقارنة بسنوات أواخر ستينات القرن الماضي وبداية السبعينات أفضل بكثير جدا.

التغيرات الهامة التي طرأت على أوضاع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية لم تأت دفعة، واحدة ولم تكن هبة من إدارة السجون للأسرى، ولكنهم انتزعوها عبر نضالاتهم المتعددة وبعد الإضرابات عن الطعام وتقديم عشرات الشهداء ومئات المرضى والمشوهين، وكانت السلطات الإسرائيلية باستمرار تماطل في تقديم الخدمات المطلوبة للأسرى حتى بعد أن تتعهد بذلك لهم إثر كل إضراب عن الطعام.

خلاصة القول فإن أسرانا البواسل العرب والفلسطينيين قد انتزعوا مكاسبهم في السجون الإسرائيلية عبر تضحيات جسام وتراكمات طويلة استمرت أكثر من تسعة وثلاثين عاماً.

خطوة الألف ميل

لم يكن للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية في بداية سبعينات القرن الماضي أية خبرات اعتقالية، أو تنظيمية تساعدهم في ترتيب أوضاعهم الداخلية وتمتين علاقاتهم في السجون، كما هو الحال في الوقت الحاضر.. ولهذا شهدت السجون حالة من الفوضى، وتسيباً أمنياً استغلته إسرائيل بشكل جيد من خلال جواسيسها المعتقلين، حيث كانت تثير المشاكل في صفوفهم الأسرى

وتدفعهم للاقتتال فيما بينهم، فانتشرت ظاهرة التكتلات والشللية، والبلديات(أي التجمع على أساس المدينة أو القرية الواحدة) بين الأسرى، وسادت المحسوبيات، ولم يكن للانضباط التنظيمي أية أهمية تذكر، وطالما اقتتل الأسرى لأسباب تافهة، وكانوا في بعض السجون ينامون بأحذيتهم استعدادا لأية مشاكل بينهم. استغلت إسرائيل الوضع أحسن استغلال، فعملت على تشغيل الأسرى لحسابها في المصانع والورش التي افتتحتها في السجون لإنتاج مواد للجيش الإسرائيلي مثل الشبك الذي يستخدم للدبابات، ولم تدخر الصحافة الإسرائيلية جهداً لتصوير الأسرى، وهم يقومون بأعمالهم لتكتب ساخرة أن (المخربين) يصنعون المواد المطلوبة لجيش الدفاع الإسرائيلي وهو ما كان القشة التي قصمت ظهر البعير، لقد كان (ترويض المخربين) كما سمته إسرائيل الطلقة الأخيرة على العمل في السجون.

لم يستمر هذا الوضع طويلاً، فقد بدأ الأسرى الأكثر وعياً وانضباطاً بمحاولات جادة لإصلاح أوضاع السجون وتطويرها، وكانت تعليقات الصحافة الإسرائيلية لسعات موجعة لهم تشجعهم للمضي في مهمتهم الكبيرة، وتساعدهم في اقناع الآخرين بوجهة نظرهم. وللحقيقة فإن الفضل يعود إلى عشرات الأسرى الذين مهدوا الأجواء لهذا التغيير الكبير، وقد عانوا كثيرا في سبيل ضبط الأوضاع أمام قمع إدارة السجون، وقلة الوعي التنظمي لأسرى جاء معظمهم كفدائيين جدد لم يعيشوا الحياة التنظيمية، ولم يمارسوها إضافة لتحريض الجواسيس عليهم.

فبدأت حملة تحقيقات واسعة وعنيفة ضد المشبوهين الذين سرعان ما تساقطوا أمام الأسرى، وكان لاعترافاتهم بما أوكل لهم من مهمات تحريض وتشويش على الأسرى، وإثارة الفتن، والمشاكل من قبل إدارة السجون ما ساهم في دفع الأسرى لإعادة الاعتبار للانضباط التنظيمي، والتوحد خلف هيئات قيادية تم تشكيلها، فقد اتضح لأسرانا أن المشاكل التي كانت تثار بين الأسرى من مختلف التنظيمات كان يقوم بها جواسيس مكلفون بها من قبل إدارة السجون مقابل وعودات بإطلاق سراحهم.

التحرك الأول للأسرى كان إيقاف العمل في أية مشاريع، أو مصانع إسرائيلية، وموافقتهم فقط على العمل في المرافق التي تقدم الخدمات لهم مثل المطبخ، ساحة السجن (المردوان) لخدمة الأسرى، المغسلة لغسل ملابس الأسرى وهو ما يقومون به اليوم في بعض السجون، ولم يكن هذا التحرك بالأمر الهين بل كان من أبرز التحركات التي واجه فيها الأسرى إدارة السجون، ولعله التحرك الأبرز في تاريخ الحركة الفلسطينية الأسيرة منذ عام 1967.

على أثر قرار الأسرى التوقف عن العمل، فقد بدأت إدارة السجون بمنعهم من الخروج من الغرف ونقل بعضهم من سجن إلى آخر عقابا لهم على قرارهم التاريخي.

التحرك النضالي الكبير بوقف العمل، والتعرض لعقاب الإدارة الجماعي وتلاحم الأسرى في بوتقة النضال المشترك صقل تجربتهم الكفاحية، وأدى إلى تفهم أفضل لأوضاعهم وترتيب علاقاتهم التنظيمية، حيث ألغيت مظاهر التعصب المناطقي ونمت على النقيض منها أواصر علاقات تنظيمية كفاحية، حيث تشكلت في السجن هيئات قيادية لكل تنظيم، وأصبح لها الصلاحية في ترتيب أوضاع الأسرى والتفاوض مع إدارة السجن نيابة عن كل أسير.

أسرى حرب أم سجناء أمنيون ؟؟!

رغم التغييرات الكبيرة التي طرأت على أوضاع الأسرى الفلسطينيين والعرب في السجون الإسرائيلية منذ مطلع السبعينات حتى اليوم، وذلك بفضل صمودهم ونضالاتهم ووحدتهم، ونضال الشعب الفلسطيني خارج السجون تضامناً معهم، والتضامن العربي مع قضيتهم.
رغم ذلك فإن المسألة الأساسية التي كان ولا زال الأسرى الفلسطينيون والعرب يناضلون من أجلها إضافة لإطلاق سراحهم، دون أن يستطيعوا انتزاعها من عدوهم، هي التعامل معهم كأسرى حرب وليس كسجناء أمنيين كما تعتبرهم إسرائيل.

والفرق بين أسرى الحرب والسجناء الأمنيين واسع جداً، فأسرى الحرب يتم تطبيق المادة الرابعة من ميثاق جنيف عليهم، والتي تنص على عدم إصدار الأحكام عليهم ومعاملتهم معاملة حسنة، والأهم من ذلك فإن أسرى الحرب هم جنود لدولة معادية لها وجودها وكيانها السياسي، أي أنها بالأساس قضية سياسية، لكن إسرائيل التي تمارس التنكيل اليومي بحق الشعب الفلسطيني لم تكتف بسلب أرضهم، ولكنها تعامل أسرانا الفلسطينيين والعرب الذين أسروا في مسيرة المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال كسجناء أمنيين (وإرهابيين) لكي تميزهم عن السجناء الجنائيين، وتتهمهم بالقيام بمخالفات ضد أمن دولة إسرائيل مجردة بذلك كفاحهم من مضمونه السياسي.

وقد كان الأسرى الفلسطينيون يطرحون هذه النقطة كأحد المطالب الرئيسية في تحركاتهم الوطنية، وإضراباتهم الطويلة عن الطعام، ولكنهم كانوا يفشلون في تحقيقها، ولم يكن صعباً عليهم أن يفهموا أن إجبار إسرائيل على التسليم بأنهم أسرى حرب تتعدى إمكانياتهم الذاتية باعتبارها أصلاً جوهر الصراع العربي الصهيوني. فعندما تعترف إسرائيل بهم كأسرى حرب ستكون قد اعترفت بكل حقوقهم السياسية والتاريخية وهو ما لم تفكر به كل حكومات إسرائيل المتعاقبة، في ظل التراجع العربي المستمر.

ظروف الأسر في السجون

كما ذكرنا سابقاً فإن ظروف الاعتقال في السجن تبدلت كثيراً منذ بدء الاحتلال الإسرائيلي للضفة القطاع عام 1967 حتى اليوم (2006)، ففي نهاية الستينات

ومطلع السبعينات كان القمع الصهيوني للأسرى أكثر عنفا، وكانوا يجبرون الأسرى على العمل في مصانع داخل السجون، لكن الأسرى استطاعوا أن يوقفوا الكثير من تلك الاستفزازات والإهانات وقدموا في سبيل ذلك عشرات الشهداء داخل سجون القمع والإرهاب بلغت حتى مارس 2006 مائة واثنين وثمانين شهيدًا.

التطورات التي حصلت داخل السجون الصهيونية المعدة لقمع الأسرى، لم تتم دفعة واحدة.. بل جاءت كتراكمات متتالية حتى وصلت إلى ما وصلت اليه، وكان كل إنجاز يحققه الأسرى في سجن ما ينعكس تلقائياً على السجون الأخرى، ولكن إدارة السجون لم تسلم يوماً ما بكل هذه المكاسب للأسرى ، فكانت تحاول باستمرار أن تنقض عليها، وتسحبها عندما ترى الظروف مواتية لذلك، وهذا ما يعرفه الأسرى تماماً . وتبعًا لذلك فهم باستمرار في حالة استعداد للمواجهة مع إدارة السجون القمعية، وحسب خبرة الأسرى فعند تعيين أي مدير جديد للسجن، أو مدير عام جديد لدائرة مصلحة السجون فهم أمام مواجهة جديدة، لأن كل مدير جديد يحاول أن يستعرض عضلاته على الأسرى في الشهور الأولى لاستلامه منصبه الجديد.

أهم مطالب الأسرى على مر السنوات

الاعتراف بهم كأسرى حرب:

لم يتحقق هذا المطلب حتى اليوم وقد وقعت قيادة م ت ف اتفاق اوسلو وما بعدها من اتفاقيات دون أن تستطيع إلزام الحكومة الإسرائيلية الاعتراف بأسرانا كأسرى حرب، أو التعامل معهم على هذا الأساس. فإسرائيل العنصرية، أهون عليها إطلاق سراحهم جميعا من أن تعترف بهم كأسرى حرب.

تمثيل الأسرى

إذا كان الأسرى الفلسطينيون والعرب لم ينجحوا في فرض أنفسهم على إدارة السجون كأسرى حرب، فإنهم قد نجحوا في فرض أنفسهم كإطار جماعي وأجبروا إدارة السجون على التعامل مع الشخص أو الأشخاص الذين يحددهم الأسرى كممثلين لهم مع إدارة السجون.

فبفضل نضالاتهم الطويلة تم انتزاع هذا المكسب المادي الذي يعتبر الخط الأحمر الذي لا يسمح الأسرى بتجاوزه مهما كانت الظروف. ولم تسلم إدارة السجون الإسرائيلية بسهولة لهذا الأمر، حيث كانت باستمرار تصر على التعامل مع الأسرى كأفراد، وليس كإطار جماعي، وكانت ترفض السماح لأي شخص بالتحدث عن أسير آخر وتعاقبه إن أقدم على ذلك، أما اليوم وبرغم تعامل إدارة السجون مع الأسرى في كل سجن كإطار جماعي، فهي تحاول بطرق ملتوية الانقضاض على

هذا المكسب من خلال تشجيع الأفراد على تقديم طلباتهم لمدير السجن بشكل منفرد لحلها بشكل أسرع.

فعلى سبيل المثال عرضت إدارة السجون في مناسبات كثيرة على الأسرى السماح لأي أسير بزيارات خاصة مع أهله من دون حواجز إذا قدم طلباً خطياً فرديا لإدارة السجن، لكن الأسرى رفضوا الطلب وأصروا على أن يقدم ممثلوهم (مسؤولهم) طلباتهم الحياتية لإدارة السجن، كما أصروا أن لايكون لأي سجين امتياز عن سجين آخر.

للأسرى الفلسطينيين داخل السجون هيئات قيادية منتخبة تقوم بتعيين ممثليهم أمام إدارة السجن، في الماضي غالباً ما كانوا من حركة فتح لأنها تضم القسم الأكبر من الأسرى، لكن ذلك تغير بعد اتفاق أوسلو وزيادة عدد أسرى الفصائل الإسلامية التي أصبح لها دور أكبر خلف القضبان، وتحدد لجنة الأسرى ممثل كل قسم الذي يختص بإدارة شؤون القسم اليومية مع السجان المناوب في القسم، ويعين ممثل عن كل غرفة يكون صلة الوصل بين ممثل القسم وسكان الغرفة من الأسرى. مسؤول الغرفة هو الذي يتحدث مع السجان في الليل إن حدث أي طارئ لعدم القدرة على الاتصال بممثل القسم .ويمنع أي شخص غير المكلفين من الأسرى أن يجري اتصالاً مع السجان أو يحادثه مهما كانت الأسباب.
لجنة الأسرى حتى مطلع التسعينات كانت تتشكل باستمرار من ممثل عن فتح، وآخر عن الشعبية، وثالث عن الديموقراطية أو أي فصيل آخر له تواجد عددي أكبر، لأن التيار المتدين في السجن والذي أصبح اليوم محسوبا على حركة حماس والجهاد الاسلامي، لم يكن يشارك في لجان الأسرى سابقا، لأن فصائل منظمة التحرير كانت تصفهم بالمنفلشين لرفضهم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، ويرفضون الالتزام بقوانين التنظيمات داخل الأسر.
تغيرت الأوضاع حاليا نتيجة تغير التيارات الدينية، وموقفها من م ت ف والسلطة الفلسطينية ولوجود القسم الأكبر من الأسرى من تلك الفصائل فأصبحت تمارس دورها في كل لجان الأسر .

إدارة السجون تحاول أحياناً كثيرة تعطيل عمل ممثل الأسرى لوضعه بصورة العاجز أمام مدير السجن.

وقف الإهانات والشتائم:

يتعرض الأسرى إلى الإهانات والشتائم اليومية من السجانين وحراس البوسطة(1)، وقد ذاق الأسرى الأمرين من حراس البوسطة، حيث كانوا ينكلون بكل سجين ينقلونه ويلحقون به أشد العذاب، وقد استطاع الأسرى وضع حد لحراس البوسطة عبر إضراباتهم الطويلة عن الطعام وعبر تصديهم الباسل لهم. ففي عام 1983 على سبيل المثال نقل السجين محمد أبو النصر (من غزة) من

سجن بئر السبع إلى مستشفى الرملة، وقبل أن يصعد إلى سيارة البوسطة، سحب شفرة حلاقة كان يخفيها وضرب بها أحد الحراس فشطب له كل وجهه، وكانت عملية أبو النصر درساً لإدارة السجون لوقف ممارسات حراس البوسطة الذين يتحركون بأوامرها ويقومون بالتنكيل بالأسرى حسب توجيهاتها .

إن مظاهر الإهانات ضد الأسرى لا تعد، وهي تتخذ كل فترة أساليب جديدة، لأن إدارة السجون لا تريد لهم أن يناموا هانئين ليلة واحدة. إن الهدف الأساسي لإدارة السجون هو تفريغ الأسرى من انتمائهم الوطني والسياسي، فكانت تقول لهم اخرجوا للعمل ولا تعتبروا أنفسكم جزءاً من م.ت.ف. وخذوا ما تشاؤون.

الوقوف على العدد

يقوم فريق محدد من قبل إدارة السجن، وهو ما يتبع في كل سجون العالم تقريبا، بعد الأسرى ثلاث مرات يومياً، وبعض السجون أربع مرات، مرة في الصباح الباكر، قبل الفطور، حوالي الساعة السادسة صباحاً، ومرة وقت الظهيرة ومرة ثالثة ساعة العشاء، أما المرة الرابعة فهي بعد إغلاق الغرف والأقسام نهائياً.

وإذا حدث وأن كان عدد الأسرى عند عدهم أقل من عددهم المسجل لدى إدارة السجن يعلن الاستنفار ويعاد العد مرة أخرى بوجود مدير السجن، أو من ينوب عنه،وتراقب الأبواب وتوجه الكشافات إلى الأسوار ومداخل السجن إن كان الوقت ليلا، وتبدأ الكلاب نباحها .

إدارة السجون كانت تطالب الأسرى في الماضي بأن يكونوا بملابسهم وأحذيتهم الرسمية أي ملابس السجن، وأن يكونوا واقفين صفاً واحداً، تماماً مثل فرق الجيش، وهذه الإجراءات لم تكن لتسهيل العدد، وإنما من أجل تنغيص حياة الأسرى في السجون، وقد خاض الأسرى صراعات طويلة ضد هذا التحقير حتى جرى عليه تعديلات كثيرة تختلف من سجن لآخر، حيث ألغيت شروط لبس الأحذية ولبس الملابس الخارجية كاملة، وأمكن البقاء بالبيجامة مثلاً أو قميص أبيض.. الخ، وألغيت أيضاً ظاهرة الوقوف في عدد الصباح في بعض السجون، ولكنها استبدلت في سجون أخرى بالجلوس صفا واحدا، وكل شيء في الأسر قابل للتغيير، فما يكون اليوم مسموحا في سجن قد يكون ممنوعا في العام الذي يليه.

بعض السجون ألغت لفترة قضية الوقوف نهائياً على العدد، وبعضها أبقاها قائمة لاعتبارات متعددة حسب توضيح إدارة السجون، (سهولة عد الأسرى)، أحد الأهداف وراء الوقوف على العدد حماية بعض الجواسيس الذين تدسهم إدارة السجون بين الأسرى، والتأكد من وجودهم بوضع طبيعي واستلام الإشارات منهم.

إلغاء العمل في السجون

تم إنجازه ولا يعمل الأسرى إلا بالأقسام ولخدمة أنفسهم، وتحدد لجنة الأسرى الأشخاص الذين تنتدبهم للعمل في المطبخ والساحة لنقل الأغراض بين الغرف، وتوزيع الماء الساخن للأسرى لعمل الشاي مثلاً. ولا يسمح الأسرى لإدارة السجن تحديد الأشخاص الذين سيخرجون للعمل، حتى لا تنتدب الإدرارة المشبوهين للعمل ولكي لا تفرض شروطها عليهم، في بعض السجون تصر الإدارة أحيانا على انتقاء الأسرى للعمل، فتطلب لجنة الأسرى من بعضهم الاعتذار عن العمل وتطلب من آخرين تسجيل أسمائهم بدلا منهم عن طريق ممثل الأسرى.

سوء التغذية وقلة المواد الغذائية

إذا كانت وجبات الأكل المقدمة للأسرى غير كافية الآن فتصور كيف كان الوضع في سبعينات القرن الماضي عندما كان يقدم للأسير أثناء الفطور أربع حبات زيتون، ونصف بيضة، وقطعة زبدة صغيرة، وقطعتان أو أربع من الخبز الأبيض لا تكفي لطفل صغير لم يتجاوز الرابعة.

وليس قلة الغذاء المشكلة الوحيدة التي يعاني منها الأسرى ولكن نوعية الغذاء وعدم تنوعه، وسوء إعداده، فقد كانت إدارة السجون تقدم أسوأ أنواع الأكل الذي يقوم على إعداده بعض السجناء الجنائيين اليهود الذين كانوا يسرقون نصفه ليبيعوه لزملائهم في السجن. لكن نضال الأسرى وخوضهم الاضرابات لتحسين أنواع الأكل أثمرت بعض الإنجازات التي أدت إلى موافقة إدارة السجون على تسليم الأسرى أنفسهم الإشراف على المطابخ في السجون المخصصة لهم، وطهي ما توفر من مواد غذائية بطريقتهم الخاصة. لم يستمر هذا الواقع طويلا ففي انتفاضة الأقصى تغير الوضع في بعض السجون خصوصا في تلك التي افتتحت حديثا لاستقبال الآلاف من الأسرى الجدد الذين زجت بهم إسرائيل خلف القضبان.

بعد إضراب السجون عام 1985 وقبل عملية تبادل الأسرى، وافقت الإدارة على إدخال أجهزة الراديو الصغيرة (ترانزستور) وسمحت للأسرى بشرائها، كما سمحت بإدخال بعض أنواع الملابس، وبعض المواد الغذائية مثل زيت الزيتون والحلويات في الأعياد، لكنها سرعان ما كانت تسحب هذه الامتيازات كلما حصلت مواجهة مع إدارة السجن.

استخدمت إدارة السجن المواد الغذائية لإذلال الأسرى وبشكل يومي، فقد كان الهدف الأول لإدارة السجون عدم ترك الأسرى ينعمون بالراحة ولو أسبوعا واحدا في أسرهم.

في سنة 1984 ادعت إدارة سجن نفحة أن كمية الملح في السجن قد نفدت، وأصبح الطعام بدون ملح، وبالتالي أصبح طعمه دلعاً .ورغم ضرورة الملح للعظام في جسم الإنسان، فقد مرت عدة شهور دون أن توفر إدارة السجن كمية بديلة

للملح ـ وهذا متعمد - فأضرب الأسرى، وكان أهم مطلب لهم توفير الملح وطالبوا أهاليهم في المرة التالية، أن يحضروا كميات كبيرة من الملح وتسليمها لإدارة السجن تعبيراً عن احتجاجهم على هذا الأسلوب مع إدراكهم المسبق أن إدارة السجون لا تدخل أغذية للسجن في تلك الايام، وبالفعل فقد أحضر الأهالي مئات الأكياس من الملح فألقتها الإدارة خارج السجن، ورفضت استلامها ولم توفر الملح للأسرى إلا بعد عدة أشهر!! باختصار فإن العلاقة مع إدارة السجون هي علاقة من يتربص بفريسته، فإن سهت اصطادها وأكلها وهذا ما يعرفه الأسرى ويعرفون كيف يواجهونه.

إدخال مواد غذائية للسجن

منذ عام 1985 على أثر إضراب أسرى سجن نفحة، وتضامن أسرى سجون أخرى معهم، سمحت إدارة السجون بإدخال بعض المواد الغذائية للأسرى في السجون، مثل تنكات زيت الزيتون، والحلويات في الأعياد، ليس حبا في الأسرى لكن على ما يبدو من أجل دفعهم للمساهمة في تغطية مصاريف غذائهم، وفي المقابل كانت إدارة السجون تخفض الكمية الغذائية المقررة للأسير على حسابها.

وقف التفتيش اليومي لغرف الأسرى

تقوم إدارة السجن بين الفينة والأخرى بمداهمة غرف السجن بشكل مفاجئ لتفتيش قسم كامل، وأحيانا تفتيش السجن كله، أو غرفة، أو عدة غرف بحثا عما تسميه موادا ممنوعة. وغالبا ما يكون التفتيش للتنغيص على الأسرى أو لتدريب سجانين جدد، ويطالب الأسرى وقف هذه الحملات لأنها تؤدي إلى نبش كل حاجيات الأسرى ورميها على الأرض وأحيانا كثيرة تخريبها ورمي الشاي والسكر على الأرض، ...إلخ

تقوم إدارة كل سجن بحملات التفتيش وقتما يحلو لها صباحاً أو مساءً، وأحيانا خلال وجود الأسرى في الساحة، وفي الغالب يتم التفتيش كل أسبوع، وفي مناسبات أخرى يتم أكثر من مرة في اليوم الواحد، وفي شهور أخرى يمر وقت طويل دون أية حملة تفتيش.
وتختار إدارة السجن الوقت الذي تراه مناسباً للتفتيش بحيث لا يأخذ الأسرى حذرهم ولا يخفون أغراضهم، وقد تعلم الأسرى دائما أن يكونوا على أهبة الاستعداد، فهم جنود في الخدمة حتى وهم نائمون.

في الماضي عندما كانت أجهزة الراديو ممنوعة كان التفتيش يهدف بشكل خاص مصادرة أجهزة الترانزستور الصغيرة والمهربة، وكثيراً ما نجحت إدارة السجن في مصادرة العديد من المواد الممنوعة، أما حاليا فإن أكثر ما يقلقهم هو الهواتف الخلوية المهربة، أحياناً كثيرة كانت السلطات تصادر الكراسات والدفاتر بحجة أنها مواد للتثقيف الحزبي والمعادي لدولة إسرائيل. وأحيانا كانت تصادر الدفاتر نكاية بالأسرى لتنغص عليهم حياتهم ولترسل موادها لجهاز المخابرات الذي يهمه أن

يعرف كيف يفكر الأسرى وماذا يكتبون خلال وقت فراغهم. وتحرص إدارة السجن أن تعثر خلال التفتيش على الرسائل السرية المتبادلة بين الأسرى، لكن الأسرى حريصون على ذلك، فلا يتركون الرسائل عرضة للمصادرة بل يهيئونها دائما للبلع في حالة كهذه بعد أن يكونوا قد غلفوها بشكل جيد قبل المداهمة.

الأسرى حذرون من قضية التفتيش، ويقوم أول أسير يلمح فريق التفتيش قادماً بالصراخ في القسم بصوت عال "تفتيش يا شباب"، حتى يأخذ كل أسير احتياطاته اللازمة، فالإدارة لا تعلم أحدا ولا حتى السجان المناوب في القسم عن نيتها بالتفتيش وإنما تقوم بذلك بشكل مخادع.

بقي أن نشير أن إدارة السجون تقوم خلال التفتيش بمعاقبة كل من تضبط في حوزته أية مواد تعتبرها ممنوعة، بنقله إلى زنزانة انفرادية لعدة أيام، وأحيانا عدة شهور. وقد شكا أسرى كثيرون أنهم عزلوا في زنزانة انفرادية والقيود حول أرجلهم طيلة عامين كاملين.

ومن أساليب إدارة السجون إجراء التفتيش عندما يكون الأسرى في الساحة، حيث يقوم السجان فجأة بإغلاق باب القسم، ثم تدخل القوة المعدة للتفتيش دون أن يكون باستطاعة أي أسير الدخول إلى الغرف. كلمة تفتيش تعني بالعبرية "حِبوس".

الكانتينا

تسمح إدارة السجن للأسرى بشراء بعض الحاجيات على حسابهم الخاص، من قبل محل خاص داخل السجن تشرف عليه بنفسها ويسمى بالعبرية (كانتينا)، حيث يسمح بشراء القهوة، الشاي، السكر، دخان محدد بالاسم، بعض الحلوى مثل الشوكالاته والبسكويت.

بعض السجون تقوم بذلك شهرياً وبعضها الآخر كل نصف شهر، الأسرى الفلسطينيون كان يسمح لهم بمبلغ بسيط ومحدد للشراء، وقد ناضل الأسرى طويلاً من أجل زيادة المبلغ المخصص، ومن أجل تنويع المواد المسموح شراؤها، وهو ما تحقق نسبياً، فقد ارتفع المبلغ المسموح أضعاف المبلغ السابق كما سمح بشراء مواد كثيرة لم تكن مسموحة سابقاً، بل ذهبت إدارة السجن أبعد من ذلك، حيث سمحت بإدخال تنكات زيت الزيتون وبعض المأكولات الناشفة مثل الملوخية عن طريق الأهل، في محاولة منها لتخفيف التزامها المالي تجاه الأسرى، وحتى تخفف من مطالبتهم بتحسين نوعية الأكل وزيادة كميته. والمعروف أن الأسرى ومنذ سنوات طويلة قد نظموا أنفسهم من كل النواحي، ومنها المسألة المالية. فلكل سجن كما لكل تنظيم صندوق مالي موحد يجمع كل ما يصلهم من الكانتينا أو الملابس ـ عن طريق الأهل ـ ويوزعها على جيمع الأسرى بالتساوي، سواء الذين أدخل لهم أهلهم المال الكافي للتسوق أم لا. وبعد توقيع اتفاقيات أوسلو وإنشاء وزارة ترعى شؤون الأسرى فقد نظمت هذه المسألة عن طريق وزارة الأسرى بعدما كانت تتم بشكل عشوائي. إلا أن إدارة السجون عادت تعرقل ذلك بعد أن تسلمت حماس السلطة الفلسطينية، فكانت

تغلق حسابات بعض الاسرى ولا تسمح لأهاليهم أو للوزارة بتحويل المال لحساباتهم. فقد أفاد السيد أحمد الخطيب محامي مركز رسالة الحقوق في فلسطين أن أسرى سجن شطة أعلموه في مطلع أيار 2006 أن إدارة السجن أغلقت حساب الأسيرين محمد نصر أبو الرب، وجهاد رماحة، حيث كانت وزارة الأسرى ترسل مخصصات كثير منهم عن طريق الأسيرين المذكورين فحرمتهم جميعا من حقوقهم.

القضية الأهم هي الشعور الجماعي بكل شيء فهي السمة التي تميز المناضلين في السجن، ولا يجوز للأسير أن يحصل لدى توزيع الخيرات الغذائية والسجاير على الأسرى على شيء لا يستخدمه مثل السجاير ويعطيه لسجين آخر فكل شخص يأخذ مخصصاته التي يحتاج لها. ولا مجال للتكتلات داخل السجن.

إدخال الملابس والهدايا

في الوقت الذي تمتنع فيه إدارة السجون عن توفير الملابس الضرورية والصالحة للأسير، فقد كانت تمنع إدخالها، خصوصا الملابس الداخلية، ومنذ مطلع الثمانينات، بدأت تسمح مرتين في السنة إدخال الملابس الداخلية، ومرة واحدة إدخال "جاكيت صوف" كحلي. وفي أواخر الثمانينات والتسعينات سمحت الإدارة بإدخال بيجامات في بعض السجون، وملابس أخرى لكنها حرمت سجونا أخرى منها، وإدارة السجون الآن تمارس ما يحلو لها وحسبما تراه مناسبا ودون أية قوانين تذكر.

وقد ناضل الأسرى من أجل السماح لهم باستعمال البيجامات في السجون وتوفير المواد الضرورية، في حين تسمح إدارة السجون للسجناء الجنائيين مثلا بإدخال الملابس الداخلية والبيجامات وغير ذلك من ملابس ضرورية.
وقد سمحت إدارة السجون إثر إضراب الأسرى عام 1985 في شهر آذار بإدخال البيجامات والشراشف والراديوهات، وفيما بعد التلفزيونات حيث تحسن الوضع نسبياً عما كان عليه في أواخر السبعينات.

المغسلة

من القضايا اليومية الهامة لدى الأسرى قضية غسل الملابس وقد كانت إدارة السجن وبشكل متعمد تأتي بالملابس أكثر وسخاً بعد غسلها، لهذا كان مطلب الأسرى باستمرار تنظيف ملابسهم بأنفسهم، وتحت إشرافهم على المغسلة، وذلك بالعمل فيها، وتعتبر هذه القضية محلولة في السجون التي سمح للأسرى الإشراف على غسيلهم. ولكن لكل سجن قوانينه وكل قوانين قابلة للتغيير دون سابق إنذار.

المطبخ

ناضل الأسرى طويلاً من أجل الإشراف على مطبخ السجن، أولاً، لتحسين نوعية الطعام وطريقة طبخه، وثانياً، للحد من سرقات الإدارة والسجناء الجنائيين الذين كانوا يشرفون على المطابخ في السجون.

ويشرف الأسرى حالياً على المطابخ في بعض السجون، في حين يعمل ببقيتها سجناء جنائيون بإشراف مباشر من إدارة السجن، كسجناء عمل أو كما يسميهم اليهود بالعبرية "أسير عفودا" ويعمل بها أحياناً سجناء هاربون من صفوف الحركة الوطنية الأسيرة لتعاملهم مع إدارة السجن ـ العملاء والجواسيس ـ والذين تخصص لهم إدارة كل سجن غرفة خاصة يسميها الأسرى "غرف العار".

التنقلات بين الأقسام والغرف

تحرص إدارة السجن على أن يكون نقل الأسرى من غرفة إلى أخرى أو من قسم إلى آخر من اختصاصها وحدها، ويناضل الأسرى دائماً ويطرحون من ضمن مطالبهم السماح لهم بالتنقل بين الغرف حسبما تقتضيه أوضاعم داخل السجن، فالأسير المحكوم عشرين سنة مثلا أو مدى الحياة، يهمه أن يغير مكان سكنه وأن لا يبقى في الغرفة سنوات طويلة، إن تغيير نزلاء الغرفة بين الحين والآخر يساعد في الترويح عن الأسير، ويغير بعض الشيء الروتين اليومي على مدى سنوات الأسر، معركة طويلة دارت ولا زالت بين الأسرى وإدارة السجون حول مسألة التنقلات.

في بعض السجون كانت الإدارة تسمح بالتنقلات على أن يتم إعلامها مسبقا بأسماء المنقولين وإلى أية غرفة سوف ينقلون قبل تنفيذ عملية النقل، وفي سجون أخرى لا تسمح لأحد بتغيير موقعه دون موافقة مسبقة منها، وتعاقب من ينتقل دون موافقتها.

وتستخدم إدارة السجون أسلوب نقل الأسرى من سجن إلى آخر ليظلوا في حالة تنقل دائم، بعيدين عن الاستقرار ومن أجل إيجاد الفرص المناسبة لدس عناصرها (الجواسيس) في مختلف السجون، ولكي تخلق مصاعب جديدة للأهالي الذين يضطرون للسفر مسافات طويلة لزيارة أبنائهم، فقد يكون الأسير من رام الله في سجن النقب مثلاً، على بعد 6 ساعات سفر، مع أنها يمكن أن تسجنه في الرملة مثلا على بعد نصف ساعة فقط، وعند نقل أسير من سجن إلى آخر فإن إدارة السجن لا تبلغ أهله إلا بعد أن يتكبدوا مشاق السفر ويصلوا السجن، فتخبرهم أن ابنهم غير موجود، وأحيانا تنفي معرفتها مكان سجنه الجديد. ويضطر الأهل البحث عنه عن طريق الصليب الأحمر أو عن طريق محام يوكلونه للبحث عنه، فيتكبدون مصاريف جديدة.

الصلاة الجماعية

لم تسمح إدارة السجون في بداية "الاحتلال" الإسرائيلي للأسرى بإقامة الصلاة الجماعية بغض النظر عن أوقاتها، وبفعل نضالات أسرانا فإن إدارة كل سجن تسمح لمعتقلي كل قسم بإقامة صلاة الجمعة لمن يرغب بإحدى الغرف الواسعة، مثل المكتبة على سبيل المثال، أو في الساحة، أو في المردوان بين الغرف. وأحيانا كما في السجون الصغيرة تمنع الإدارة إقامة مثل تلك الصلاة. وفي السجون المكونة من الخيم، تقام الصلاة في خيمة من خيم الأسر. يطالب الأسرى دائما بتوفير مكان لائق للصلاة الجماعية، وعلى الأقل صلاة الجمعة.

زيارات الأهل والأقارب

تعتبر الزيارة بالنسبة للأسير من أهم المسائل غير الحياتية، وهي بالنسبة لمعظم الأسرى الرئة التي يتنفسون منها وتزيدهم صمودا وصبرا، وذلك لأنها أولاً الوقت الوحيد الذي يلتقي فيه الأسير بأسرته وأهله وأصدقائه، وهي بالتالي صلة الوصل الحية للعالم الخارجي، لقد مرت على الأسرى سنوات طويلة لم يكونوا فيها يعلمون ما يجري خارج القضبان إلا من خلال الزيارات.

الزيارة للأسرى المحكومين تتم مرة كل أسبوعين وبسبب تكاليفها الباهظة فقد كان الصليب الأحمر ينقل أهالي الأسرى مرة كل شهر، وينقلهم الهلال الأحمر المرة الثانية، أما الموقوفون فإن زيارتهم مسموحة مرة أسبوعياً للذين يحملون بطاقة الهوية الإسرائيلية من القدس، وفلسطين 1948 ، أما بقية الموقوفين فإن زيارتهم مرة كل أسبوعين. هذا حسب القانون الإسرائيلي، لكن بعد انتفاضة الأقصى ومنع سكان الضفة والقطاع من دخول القدس وحدود إسرائيل عام 1967 فقد أصبح من الصعب جدا على أهل السجين زيارة ابنهم إن كانوا من سكان الضفة والقطاع، لأنهم بحاجة لتصريح إسرائيلي مسبق يسمح لهم بزيارة أبنائهم، ونادرا ما يمنح هذا التصريح لأهالي أحد السجناء. وحتى لو أفلت أحدهم من الحواجز، فهو مطالب من إدارة السجن بإبراز تصريحه الخاص بدخول إسرائيل ليسمح له بالزيارة.

ومنذ نهاية الثمانينات بدأت إدارة السجون بتطبيق نظام زيارة صارم حيث تسمح فقط للأهل من الدرجة الأولى للزيارة، وهم الوالدان والأولاد والزوجة. في حين كانت تسمح سابقا لأقارب آخرين وأصدقاء. كما تمنع إدارة السجون كل من كان أسيرا سابقا بزيارة أي أسير حتى لو كان ابنه.
وبعد إدخال أجهزة الكمبيوتر إلى السجون في مطلع التسعينات أصبح كل أسير أو سجين سابق حتى لو يوما واحدا ممنوعا من الزيارة واسمه محفوظ بالكمبيوتر. ومعروف أن مئات الآلاف من أبناء شعبنا جربوا الاعتقال ولو ليوم واحد.

يوم الزيارة هو يوم عيد للأسرى، لذلك فهم منذ صباح اليوم المحدد للزيارة يستيقظون بهمة ونشاط يحلقون ذقونهم ويستحمون، ويحملون معهم للزيارة قطع الملبس ليقدموها من خلف القضبان إلى أطفالهم، أو زوارهم. مدة الزيارة نصف

ساعة فقط، وهي غير كافية على الإطلاق، أما غرف الزيارة فتختلف من سجن لآخر بعضها غرف صغيرة تتسع الى ست عائلات فقط، كما هو حال سجن نفحة سابقا، وبعضها الآخر كان يتم الزج بعشرين عائلة فيها مثل سجن بئر السبع، ويفصل بين الأهالي والأسرى شبك حديدي يكاد تسمح ثقوبه بإدخال أصبع واحد فقط، ويقف خلف الأهالي وخلف الأسرى سجانون إسرائيليون لمراقبة عدم تبادل رسائل سرية بين الطرفين، وأحياناً للتنصت على الحديث الدائر بين الأهالي والأسرى. وقد أدخلت إدارة السجون تعديلات على المادة العازلة بين الأسير والأهالي منذ أواسط التسعينات في عدد من السجون مثل سجن الرملة، بحيث أصبح الزجاج البلاستيكي إضافة للحديد هو الفاصل بين الطرفين ولم يعد باستطاعة الأسير أن يسلم على أي من أقاربه أو يلمس أصابعهم .

من مطالب الأسرى في السجون حول الزيارة، زيادة الوقت، توفير الراحة للأهالي الذين ينتظرون بالخارج للدخول لزيارة أبنائهم، فالعائلة التي يسمح لها بزيارة ابنها نصف ساعة تقضي في الحقيقة يوماً كاملاً موزعاً بين السفر، والانتظار خارج السجن، كما يطالب الأسرى بتقليص عدد العائلات في كل موجة زيارة حتى يتسنى للجميع سماع أقاربهم، والتحدث معهم بهدوء، في حالات كثيرة كان الأسرى يرفضون الزيارة عندما يكون عدد الزوار في المرة الواحدة أكثر من العدد المتفق عليه مع إدارة السجن. كما يطالبون بإلغاء المواد العازلة بين الأسير وأهله ليتمكن من معانقتهم وسماعهم بشكل أفضل، كما يطالبون بالسماح لأقاربهم الآخرين، وأصدقائهم بالزيارة كما كان عليه الوضع في مطلع الثمانينات. من المعروف أن بعض الأسرى قد مر عليهم أكثر من عامين دون أن يسمح لهم بالزيارة.

وفي إحصائية أعدها نادي الأسير عام 2004 فان 2500 عائلة أسير فلسطيني ممنوعة من زيارة أبنائها داخل السجون من فئة القرابة درجة أولى، والتي تشمل الأم والأب والزوجة والأبناء وذلك بحجة المنع الأمني من جهاز الشاباك الإسرائيلي، وهناك عائلات لم تستطع زيارة أبنائها منذ أربع سنوات متواصلة، وقد فشلت حتى الآن كافة جهود الصلب الاحمر الدولي في إيقاف سياسة المنع الامني لزيارة عائلات الاسرى...

وتعتبر هذه القضية من أخطر القضايا الإنسانية التي يعاني منها المعتقلون، وتشكل عقابا جماعيا غير قانوني يتنافى مع اتفاقيات جنيف الرابعة التي تنص على السماح لعائلة الأسير زيارة ابنها المعتقل بشكل متواصل...

ولاحظ نادي الأسير أن ما يسمى المنع الأمني هو ادعاء غير منطقي وغير أخلاقي حيث أمهات وآباء طاعنين في السن تتجاوز اعمارهم السبعين عاما حرموا من زيارة أبنائهم داخل السجون.

علاج المرضى

من الطبيعي جداً ما دامت أوضاع السجن سيئة من النواحي الصحية، وبسبب رداءة الغذاء المقدم أن يصيب المرض عدداً واسعاً من الأسرى، وبشكل خاص القدامى، الذين أمضوا فترة طويلة في الأسر.

ويطالب الأسرى باستمرار إدارة السجون بتوفير العناية الطبية اللازمة لهم، ومعالجة الحالات الصعبة عبر نقلها إلى المستشفيات الخاصة، وإجراء العمليات الضرورية، ولم تزل إدارة السجون تستخدم العلاج كأسلوب انتقامي فعال ضد الأسرى، فهي لا تقرر نقل أسير إلى المستشفى إلا بعد أن يوضع اسمه على قائمة الانتظار لأشهر طويلة، يكون المرض خلالها قد استفحل، وأصبحت حالة المريض سيئة جداً، وقد استشهد العديد من الأسرى الذين أهملت إدارة السجون علاجهم، (مرفق قائمة بالأسرى الشهداء وسبب استشهاد كل منهم)، كما لم يسلم أحد منهم من الإصابة بمرض معين مثل البواسير، المعدة، الدسك الخ.. لذلك يجري الأسرى بعد الإفراج عنهم على الفور فحوصات طبية شاملة قبل المباشرة بأي عمل، ويقدم مستشفى المقاصد الخيرية بالقدس العلاج لكافة الأسرى المحررين ، لكن بعد منع السلطات الإسرائيلية سكان الضفة والقطاع من الوصول للقدس ومعاقبتهم لو حدث أن ضبطتهم هناك، تم تحويل الآخرين للمستشفيات الأقرب لمناطق سكنهم، رغم عدم كفايتها المهنية وقلة الأدوات الطبية فيها.

يوجد لكل سجن ممرض خاص، أو عدة ممرضين حسب سعته، تحددهم إدارة السجن، وغالبا ما يكون رجل مخابرات إسرائيلي مهمته تنغيص حياة الأسرى، ومحاولة الإيقاع ببعضهم للتعامل مع الإدارة، والتجسس على رفاقهم الآخرين، تحت طائلة التهديد بعدم تقديم العلاج المناسب إلا مقابل تقديم المعلومات عن رفاقهم الأسرى الآخرين.

بعض السجون فيها أطباء مثل سجن الرملة، وكان في ثمانينات القرن الماضي في سجن نفحة، وبئر السبع يحضر طبيب أسنان مرة في الأسبوع.

والممرض في معظم الأحيان لا يتحدث العبرية، أو هو يتظاهر بذلك، والعلاج الذي يقدمه في الغالب نفس العلاج لكل المرضى ولكن تحت أسماء مختلفة وهي حبة دواء تسمى أكامول تشبه في فعاليتها حبة التايلنول أو الأدفيل.

وللدلالة على عدم اكتراث الممرض أصلاً للعلاج عدم استعداده لتشخيص المريض، فقد كان الأسرى في سجن المسكوبية عام 1982 يشكون للممرض أن زر القميص مقطوع، فيقدم لهم حبة أكامول للعلاج، أحد المعتقلين الظرفاء كان يقول للممرض قلبي يدق فيقدم له نفس العلاج.

في زيارة قامت بها المحامية من جمعية " نادي الأسير " - حنان الخطيب في شهر أيار 2006 إلى عدد من السجون الإسرائيلية شكا لها عدد من الأسرى عن إهمال إدارة السجون لمطالبهم بالعلاج رغم إصابتهم بأمراض خطرة، وتحتاج لرعاية فورية، فقد التقت في سجن الشارون بالأسيرتين قاهرة السعدي، ورجاء الغول، حيث أفادت الأولى أنها تعاني من مشاكل صحية في المعدة، وقد جاء في إفادة مشفوعة بالقسم لها ما يلي: " طالبتُ من إدارة السجن إجراء الفحوصات اللازمة ودون جدوى."

أما رجاء الغول فقالت بأنها تعاني هي الأخرى من مرض القلب وتعاني من نوبات قلبية في ساعات الليل، وأمراض في المعدة، دون أن تقدم لها الإدارة العلاج المطلوب(2).

وفى نفس السياق وخلال زيارة لسجن إيشل قامت بها محامية النادي حنان الخطيب التقت خلالها الأسير زهير احمد أسود من طولكم أفاد خلالها أنه يعانى من مشاكل صحية وأنه مصاب بعيار ناري في ذراعه الأيمن المزروع بالبلاتين بدل العظم بسبب إصابته السابقة.(3)

والتقت المحامية في نفس السجن الأسير محمد احمد أبو فنونه من الخليل أفاد خلالها الأسير انه يعانى من عدة مشاكل صحية حيث قال: أعاني من أوجاع في صدري منذ ما يزيد عن أربعة أشهر وأنا أطالب إدارة السجن القيام بفحوصات طبية وحتى هذه اللحظة لم يعملوا لي أي شئ ودون أي اهتمام. كما أعاني من إصابة في قدمي اليسرى حيث أصبت برصاصة(4).

أما الأسير سعيد محمود نخله من مخيم الجلزون أفاد بأن وضعه الصحي كان سيئا، ومتدهور بسبب مشاكل صحية في الصدر وقال أنا أعانى من ذبحة صدريه وأمراض في القلب وارتفاع في ضغط الدم وأفاد الأسير انه يتناول يوميا العديد من الأدوية وان عددها سبعة أنواع(5) .

وفى سجن مشفى الرملة شكا الأسير قاسم غالب عياد من السيلة الحارثية أن عددا كبيرا من الأسرى يعانون من مشاكل صحية ومن إهمال طبي من قبل إدارة السجن، حيث أفاد أن الأسير فادي علي أبو زيد أصيب بلفحة هواء، وأثناء التحقيق من الضرب المبرح الذي تعرض له من قبل ضباط التحقيق أصيب بالتهابات رئوية نقل على أثرها إلى مستشفى هعيمك وبقي هناك 4 أيام وكذلك يعانى من تضخم في الطحال والتلاسيميا(6) .

وأفاد أن الأسير كمال حسام طوباسي حضر إلينا يوم 2006/4/17 واجروا له عملية زايده بعد أن انفجرت عنده وكاد أن يصاب بتسمم حيث بقى عدة أيام وهو يعانى من الآلام دون اهتمام جدي من قبل إدارة السجن ، سوى إعطائه بعض المسكنات والمهدئات حينما كان في سجن نيتسان.

وأضاف أن الأسير كمال أجريت له العملية في مستشفى أساف هروفيه وبقى في المستشفى 8 أيام(7).

وأشار الأسير أحمد محمد زيدان من غزه (سجن نفحة) إلى معاناته من مشاكل صحية في العين اليمنى ـ وقال للمحامية: سقط في عيني برغي، وحتى الآن لم يعالجوني. قدمت التماسا فطلبوا منى في الاداره أن اسحب الالتماس، ووعدوني

بأنه خلال 3 أشهر بأنهم سيخرجونني إلى المستشفى وانتهت المدة ولم يعملوا لي شيئا، إن أهم شيء عندي الآن هو عيني وقد وعدوني قبل سنه بان يجروا لي عمليه جراحية وما زالوا يماطلون(8).

الشهيد السوري هايل أبو زيد أصيب بمرض السرطان بالسجن ولم تطلق السلطات الإسرائيلية سراحه إلا بعد أن اقتربت ساعة منيته فأطلقت سراحه في مطلع عام 2005 وتوفي في السابع من تموز يوليو 2005 . وكان الشهيد أبو زيد قد أمضى عشرين عاما في السجون الصهيونية بعد أن حكم عليه بالسجن لمدة 27 سنة(9).

لا تراعي سلطات الإرهاب الصهيوني إذا كان الأسير لديها جريحاً، أو مريضاً، أو يعاني من حالات عصبية أو نفسية، وتصدر أحكامها ضدّ هؤلاء جزافاً، وإن قدّمت التقارير الطبية. وإنما يهمّها في ذلك ما تقدّمه المحاكم الصهيونية من أدلّة بموجب ما يسمّى قناعات المحكمة أو القضاء التي تستند إلى معلومات سرية يجمعها "الشاباك" الصهيوني.

وعن أنواع الأمراض التي يعاني منها الأسرى أوضح رياض الأشقر مدير الدائرة الإعلامية بوزارة الأسرى، أن هناك العشرات من الأمراض التي يعاني منها الأسرى داخل السجون والمعتقلات الإسرائيلية، والتي تتفاوت في خطورتها؛ فهناك أمراض تصيب الجهاز التنفسي كضيق التنفس والتهابات الرشح والزكام والإنفلونزا المتكررة، والتهابات الرئة، والربو ،وأمراض تصيب الجهاز الهضمي كالتسمم الغذائي، وسوء التغذية والتهابات الأمعاء الحادة، وهناك أمراض تصيب الجهاز الدوري كضربات الشمس، والجفاف ،وفقر الدم (الأنيميا) الناتج عن سوء التغذية، خاصة قلة العناصر الغذائية المهمة لبناء كريات الدم الحمراء كالحديد وفيتامين بي 12، وحالات الإغماء المفاجئ، وارتفاع ضغط الدم والإصابة بمرض السكري.

وعن الأمراض الجلدية أوضح الأشقر أنها تعتبر من أكثر الأمراض شيوعا وانتشارا بين الأسرى داخل السجون الإسرائيلية، نظرا لقذارة السجون، وعدم توفر مقومات النظافة الصحية، نتيجة تراكم القمامة وانتشار الحشرات الضارة، وسوء مجاري الصرف الصحي، وقلة مواد التنظيف(10).

ومن أهم هذه الأمراض، الإصابة بالحروق الجلدية، والحساسية، والالتهابات الجلدية الحادة، الفطريات، والأورام والتجمعات الدموية المزرقة على الجلد، ومرض الجرب المسمى سكابيوس، ولسعة حشرة البق، والقمل، وعض الكلاب(11).

وبالنسبة لأمراض العظام فهناك الكسور الشديدة والتمزقات الغضروفية وأمراض الروماتيزم، والتهابات المفاصل، وآلام الظهر، والعمود الفقري والتي تنتشر بكثرة

نتيجة عدم وجود فرشات صحية للنوم، ولاضطرار العديد من الأسرى للنوم على الأرض بلا فراش، وانتشار الرطوبة، وهشاشة العظام.

وأوضح الأشقر أن الأمراض التي تصيب الجهاز البولي لدى الأسرى هي :التهابات الكلي والمسالك البولية المتكررة والحصر البولي الحاد والعقم والضعف الجنسي. وإن أمراض العيون هي: ضعف البصر، وفقدان البصر والتهابات ملتحمة العين الحادة. وأمراض الأذن تتمثل في ضعف السمع وانثقاب طبلة الأذن وفقدان السمع.(12)

وعن الأمراض النفسية أوضح أنها تتمثل في الإصابة بالصدمات النفسية الهستيرية الحادة، وحالات الاكتئاب الحادة، والانطواء الشديدة، والتي تسببها الفترات الطويلة التي يقضيها الأسير داخل العزل الانفرادي، والقلق وصعوبة النوم، وأمراض الأعصاب التي يعاني منها بعض الأسرى، منها: جلطات الدماغ والشلل النصفي وصداع الرأس الشديد الحاد، والمزمن حالات الصرع والتشنجات.(13)

وأكد وزير الأسرى والمحررين وصفي قبها أن أعداد الأسرى المرضى في تزايد مستمر، نتيجة الأوضاع المزرية داخل السجون، والتي توفر الأرضية الخصبة للأمراض، ونتيجة الإهمال الطبي المقصود، حيث شهدت أعداد الأسرى المرضى داخل السجون ارتفاعا ملحوظا من 950 أسيرا مريضا العام الماضي، إلى أكثر من 1100أسير مريض العام الحالي.(14)

ومن الأسيرات اللواتي تهمل إدارة السجون في علاجهن(15):

- آمنة منى: تعاني من آلام الظهر والمعدة.
- عبير عمر خليل : تعاني من آلام الظهر والمفاصل.
- منال غانم : تعاني من مرض التسليميا
- لطيفة أبو ذراع: تعاني من مرض السكري وضغط الدم
- سونيا الراعي: تعاني من مرض عصبي
- أمل جمعة : تعاني من مشاكل في الكلى
- تعاني بعض الأسيرات من أمراض نسائية وترفض إدارة السجن استدعاء أطباء متخصصين في الأمراض النسائية.
- تعاني كل الأسيرات من أمراض الأسنان، ولا توفر إدارة السجن طبيب أسنان.
- أحلام التميمي تعاني من حصوة بالمرارة وترفض الإدارة إجراء عملية جراحية لها.
- الأسيرة أمل محمود من داخل الخط الاخضر وشفاء القدسي من القدس تعانيان من الديسك ولا تحصلان على أي علاج.
- الأسيرة قاهرة السعدي تعاني من مشاكل في عينيها.
- الأسيرة وفاء البس من مخيم جباليا، وتعاني من ضيق في التنفس وحالة اختناق مستمرة، وهي بحاجة عاجلة وسريعة لإجراء عملية جراحية في كلتا يديها (اليمنى واليسرى) وعملية جراحية أسفل الصدر.

- الأسيرة رجاء الغول 36 عاما، والمعتقلة في سجن "الجلمة"، تعاني من آلام في الصدر لإصابتها بمرض في القلب، وهي بحالة صعبة نتيجة عزلها في الزنازين منذ اعتقالها في 15-2-2006.
- عائشة محمد أحمد عبيات، عشرين سنة، التهاب بالكلى.
- أمل علان : تعاني من حساسية بالجلد
- أحلام صلاح : تعاني من أوجاع بالرأس والظهر.
- لنا أبو غلمي: تعاني من أوجاع في المعدة.
- سناء محمد شحادة: تعاني من آلام الظهر والعيون.

كما يعاني البروفيسور عصام الأشقر من نابلس من ارتفاع في الضغط وضيق في التنفس، وصداع يسبب له دوخة، وقد تم نقله إلى مستشفى "بيلينسون" في بيتح تكفا، حيث كان طيلة وجوده مقيد اليدين، ونظرا لخطورة حالته عقدت له محكمة في المستشفى، وتم تمديده لمدة 6 أشهر إداريا. والأسير فادي علي أبو زيد من جنين الذي يعاني من تضخم في الكلى وفقر الدم، وهناك خطر حقيقي على حياته في حال استمرار اعتقاله.(16)

والأسير محمد أبو علي من الخليل، أمضى في السجون 26 عاما، يعاني من عجز في البصر، لا تقل نسبته عن 50% وخضع لخمس عمليات جراحية في عينيه وهو داخل السجن، وكان قد أصيب بجلطة قلبية وأجريت له عملية قسطرة في السجن(17).

هناك حالات كثيرة تعاني من أمراض مزمنة متنوعة ترفض تماطل إدارة السجن في علاجها منها الأسير ماهر أحمد الراعي من مدينة قلقيلية المصاب بشلل نصفي، والأسير على الشلالدة من القدس الذي يعاني من تورم في الغدة النخاعية، وربو رئوي حاد، والأسير أحمد يوسف التميمي من رام الله الذي يعاني من فشل كلوي، والأسير خالد الأزرق من بيت لحم الذي يعاني من التهاب في العمود الفقري وفتق، والأسير علاء كوجك من نابلس الذي يعاني من شلل في يده اليسرى والتهاب في الكبد، والأسير عثمان محمد أسعد من جنين الذي يعاني من شلل نصفي، والأسير ماهر جمعة بدوي من مخيم بلاطة مصاب بسرطان في الكلى(18).

الراديو والتلفزيون

يوجد اليوم بحوزة الأسرى في السجون، أجهزة راديو ترانزستور مسموحة وجهاز تلفزيون في كل غرفة، وفي سجون أخرى تلفزيون في القسم الواحد، وثمة سجون لا يسمح فيها لجهاز التلفزيون. وقد سمح لهم بحيازة هذه الأجهزة منذ عام 1985، في حين كان قبل ذلك ممنوعاً عليهم الاستماع لأي جهاز سوى إذاعة إسرائيل من خلال سماعات كبيرة موجودة في غرف السجن وموصلة بجهاز راديو لدى إدارته، كانت تفتح عدة ساعات كل يوم، ولم يكن الأسرى يهتمون بها

إلا الساعة السادسة والنصف مساء عندما كانت تبث عليهم أغنية لأم كلثوم، لذلك كانت الست رحمها الله رفيقهم الوحيد في السجن في تلك الأيام ،تنقل لهم آهات الأحبة وأشواقهم، رغم موتها.

ممنوع ممارسة الرياضة

ممارسة الرياضة من قبل أسرانا في السجون الإسرائيلية كانت ممنوعة في أواخر ستينات القرن الماضي، ومطلع السبعينات، ويتم نقل كل من يمارسها للزنزانة لمدة طويلة إضافة لتعرضه للضرب والإهانة.
كان أسرى سجن عسقلان وغيرها من السجون يخرجون للساحة ساعة كل يوم (24ساعة)، يمشون كل اثنين معا، ويمنع تجمعهم أو التحدث معا بشكل جماعي ويمنعون من ممارسة أية أنواع من الرياضة حتى لو كانت بعض التمارين الخفيفة، وكانت أية حركة من أي أسير توحي للسجان أن صاحبها يمارس أي نوع من الرياضة، تعرضه للقمع الفوري. حياة ذليلة عانى فيها أسرانا الأوائل الكثير، ودفعوا ثمنا غاليا من أجل تحسين وضع الأسرى في السجون وقدموا لذلك شهداء منهم شهيد سجن عسقلان الأول البطل عبد القادر أبو الفحم من قوات التحرير الفلسطينية بعد أن خاضوا عام 1970 إضرابا عن الطعام استمر أكثر من شهر.

بدأت إدارة السجن تسمح تدريجيا للأسرى بممارسة الرياضة، وقد جعل الأسرى الرياضة أحد مهماتهم اليومية لأنها كما كان يقول الأسير الشهيد عمر القاسم الطريق للتخلص من أمراض السجن، ولشحن الأسير بما يعينه على الصمود أمام جلاد لا يعرف الرحمة.

ممارسة الرياضة ـ المسموحة اليوم ـ تساعد على تنشيط الجسم وتخفيض كمية الكولسترول في الدم، والحفاظ على حيوية جسم يظل مدة من عشرين إلى 22 ساعة في الغرف (تختلف المدة من سجن إلى آخر) ولسنوات طويلة، وهو ما تدركه إدارة السجن، ولذلك كانت تهدف على الدوام وضع الأسير في أسوأ ظروف صحية حتى تؤثر بذلك على معنوياته وصموده في السجن.

ويمارس اليوم معظم الأسرى الرياضة في السجن لكي يحافظوا على لياقتهم البدنية التي تصارع الأمراض، كل الأمراض في سجون إسرائيل القمعية، مطالب الاسرى طبعا تخصيص ملاعب واسعة لممارسة الرياضة، وتوفير الأدوات الضرورية لكي يمارسوا الألعاب الرياضية المعروفة، والمسموحة في كل سجون العالم.

الفورة أو كما يسميها اليهود "طيّول"

ساحات السجون المخصصة للأسرى تختلف مساحتها من سجن إلى آخر، لكن معظمها صغيرة، ومن الصعب أن يمارس فيها كل الأسرى الرياضة بشكل جيد مقبول، ففي سجن نفحة في ثمانينات القرن الماضي كانت مساحة الساحة لا تزيد عن خمسين مترا مربعا، مما يجبر الأسرى أن يمارسوا الرياضة بطرق أخرى مثل نط الحبل. معظم الوقت يتواجد الأسرى في غرفهم مدة عشرين ساعة،

ويسمح لهم الخروج منها للساحة لمدة أربع ساعات وفي سجون أخرى ساعتين ونصف فقط وتكون على قسمين قسم في الصباح وقسم بعد الظهر، المدة المذكورة كانت سابقا ساعة ثم زادت بالتدريج.

الفورة هي الوقت الوحيد الذي يستطيع فيه الأسرى لقاء بعضهم بعضاً بشكل جماعي، وتبادل الأحاديث والزيارات.

ويمارس الأسرى رياضتهم أيضاً خلال الفورة، كما تعتبر فترة الاستحمام من وقت الفورة أيضاً، وتخير إدارة السجون الأسرى بين هذا الوضع وخروجهم للعمل، وبالتالي تمتعهم بامتيازات أفضل، فيصرون على رفض العمل، باعتبارهم أسرى حرب، ويستمرون في مطالبتهم بزيادة ساعات الفورة، لأن أشعة الشمس والهواء الطلق ضروريان لحياة الإنسان.

الحلاقة والماء الساخن

يعاني الأسرى حتى اليوم من ندرة الماء الساخن، والذي يستخدم للاستحمام ولحلاقة الذقن، كل سجن له شروطه وقوانينه، ففي نفس سجن الرملة كان الأسرى في قسم المحكومين مثل قسم (شمولي – وبالعبرية كللي) لا يستحمون إلا في حمامات خارج الغرف، وفي أوقات محددة يوميا والحمام على الدور طبعا، بعض السجون كان الأسرى لا يستطيعون ذلك إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، وفي سجون أخرى يسمح بثلاث مرات أسبوعياً هذا بالماء الساخن، أما بالماء بالبارد فحسب تحمل الأسير، وكثرة استخدام الماء البارد خصوصا في الشتاء يجلب مع الأيام الأمراض للعظام، ويطالب الأسرى باستمرار توفير الماء الساخن، أسوة بسجون إسرائيلية أخرى.

أحيانا كثيرة تدعي إدارة السجن عدم وجود شفرات حلاقة، وبالتالي ترك الأسرى لأسابيع عديدة دون حلاقة، وأحياناً أخرى كانت إدارة السجن تقدم لهم شفرات حلاقة غير حادة مما يؤدي إلى جرح الأسير أثناء حلاقته.

رسائل وصور

لقد ذكرنا سابقاً إن من أهم القضايا ـ غير الحياتية ـ للسجين هي الزيارة لما لها من معان عائلية وعاطفية، أما القضية الثانية التي تحظى باهتمامهم فهي استلام الرسائل، والصور من الأهل والأصدقاء، وهي قضية تستخدمها إدارة السجن للتأثير على الأسرى باستمرار، وتحت حجة مراقبة الرسائل والصور لأسباب أمنية يتعطل وصول الرسائل للسجن أحياناً لشهر، وأحياناً أخرى لعدة أشهر، وفي حالات غير قليلة لا تصل الرسالة قطعياً، وينطبق ذلك على الرسائل التي يرسلها الأسرى لأهاليهم، تغيرت بعض هذه الشروط حاليا، ولا تسمح إدارة السجن للأسرى بإرسال الرسائل الطويلة فقد كانت تحدد لهم رسالة واحدة لكل سجين فقط، كما كانت تقدم لهم نماذج معدة سلفاً للرسائل لا يسمح للسجين

بالكتابة سوى على صفحة واحدة صغيرة، وكانت تلزم الأهالي بالرد على نفس الرسالة، الوجه الخلفي للورقة، ثم عادت إدارة السجون وسمحت للأهالي بالكتابة على أوراق عادية، ورغم سماح إدارة السجون للأهالي إدخال صورهم إلى أولادهم فقد منعتهم من أخذ صور لهم في السجن، ولم تسمح لهم سوى مرة واحدة بالتقاط صورة لكل منهم، داخل السجن وبلباس السجن، وإرسالها للأهالي وذلك عام 1983، ثم توقفت لفترة وعادت وسمحت بها عدة مرات بعد ذلك والمسألة بين مد وجزر وحسب مزاج الإدارة. التقاط الصور للأسير في السجن مسألة إنسانية مهمة لأنها تنقل صورته لأصدقائة وأهله الذين يمنعون من زيارته، كما تسمح له بمشاهدة صور أقاربه وأصدقائه بعد ان انقطع عنهم تلك المدة الطويلة.

الغرامات المالية

منذ مطلع التسعينات بدأت إدارة السجون باتباع سياسة عقاب جديدة، تتمثل بمعاقبة الأسير الذي تتهمه بمخالفات محددة بفرض غرامة مالية عليه تحسمها من حسابه في السجن، وهي الأموال القليلة التي يرسلها له أهله لشراء بعض الحاجيات الضرورية مثل صابون التنظيف، أو الشاي والسكر ومعجون الأسنان، وماشابه مما تسمح به إدارة السجون.
وقد أفرطت إدارة السجون في استخدام هذا الأسلوب الذي رأت فيه طريقة لكسب المال إلى الأدارة، وطبقته على الأسرى والأسيرات، ويتراوح معدل مبلغ الغرامة من مائة إلى مائة وخمسين دولارا.
يطالب الأسرى باستمرار بوقف هذا الأسلوب العقابي الهمجي، كما يطالبون بإعادة أموالهم المسروقة على مر السنوات.

وقف العزل الانفرادي

تستخدم إدارة السجون أسلوب العزل الانفرادي كعقاب ضد الأسرى الذين يخالفون أوامرها الظالمة، فتصدر عليهم أحكاما بالعزل الانفرادي في زنزانة معزولة وتفتقر للشروط الصحية والإنسانية لمدة تتراوح بين يوم واحد وعدة سنوات كما حصل مع الأسير عبد الله أبو شلبك الذي أمضى في العزل الانفرادي أكثر من عامين وهو مقيد اليدين والرجلين داخل الزنزانة.

الأسير عبد الله أبو شلبك في الزنزانة

فصل الأسيرات عن الجنائيات

تطالب الأسيرات داخل السجون بفصلهن عن الجنائيات اليهوديات بسبب تحرش الأخيرات بهن بشكل يومي، ولأن عدد الأسيرات دائما أقل بكثيرا عن الجنائيات، فإن مواجهتهن تكون من الصعوبة بمكان خصوصا وأن إدارة سجون النساء تحرض الجنائيات دائما على الأسيرات.

برنامج السجين اليومي

يختلف برنامج كل أسير عن الآخر تبعا لتوجهاته ورغباته، هناك أشياء مشتركة تقريبا بين الجميع فمثلا ساعة الصباح يخرج معظم الأسرى لممارسة الرياضة في الساحة لتحريك أجسامهم، وبعد العودة من الغرف يتناول الأسرى الفطور، ثم يقوم كل أسير بما يريد على أن يلتزم الصمت حيث يتفق الأسرى على أن يكون

الصباح للدراسة أو الكتابة، أو ممارسة الألعاب التي لا تحدث ضجيجا مثل الشطرنج.

وبعد الغذاء عادة ينام الأسرى لفترة قصيرة وهي فترة القيلولة، ثم تبدأ فترة دراسة أخرى أو اجتماعات ونقاشات سياسية أو دينية، وبعد ذلك تبدأ فترة مفتوحة للعب أو الحديث بشكل عادي، حتى بعد العشاء. بعد ذلك تبدأ فترة هدوء أخرى حتى موعد النوم وإطفاء الأنوار وهو موعد يختلف من سجن إلى سجن لكن في الغالب الساعة العاشرة ليلا وبعض السجون الساعة 11 قبل منتصف الليل.

بعد إدخال التلفزيون إلى بعض السجون أصبح هناك أوقات محددة لمشاهدته، وسماع الأخبار، لكن في الماضي قبل السماح بالتلفزيون كانت الأمور تختلف وبالتالي برنامج الأسير اليومي يختلف. والتلفزيون غير موجود في كل السجون اليوم، كما تستخدم إدارة السجون التلفزيون كعقاب للأسرى وقتما يحلو لها، فبعد أسر الجندي الإسرائيلي من قبل المقاومة الفلسطينية وبعدها أسر الجنديين من قبل حزب الله في تموز 2006، أوقفت إدارة السجون مشاهدة التلفزيون في كل السجون التي يتواجد فيها الأسرى، وسمحت لهم فقط بمشاهدة القنوات التي حددتها لهم مثل القناة الإسرائيلية.

وننقل لكم هنا نموذجين لأسيرين في زمانين مختلفين كيف يقضيان أوقاتهما خلف القضبان.

ففي شهر آذار من عام 2003 في سجن عوفر العسكري يحدثنا الأسير أحمد صبحي قدح كيف يقضي يومه:

(عند سماعي آذان الفجر الأولى أنهض من نومي وأخرج من الخيمة لأتوضأ، وأعود وأصلح حال فراشي، لنتهيأ مع من سيأتي لخيمتنا لإقامة الصلاة جماعة، حيث أنني أسكن في خيمة المسجد، وأصلي ركعتين، أو أربع وأنتظر الآذان في الاستغفار، والدعاء فإذا ما أذن صلينا السنة ثم الفرض جماعة مع باقي الأخوة في القسم عندنا، حيث أن قسمنا يتكون من أربع خيام في كل واحدة 22 أسيرا معظمهم من المصلين .

بعدها أتم صلاتي، وأقرأ جزءا من القرآن متكئا على فراشي ألتمس الدفء لأن الجو بارد، ثم أبدأ أذكر وردي اليومي، أنتظر العد الصباحي الذي يكون من الساعة السادسة والنصف، حتى الساعة السابعة، وغالبا ما تأخذني غفوة قصيرة حتى أصحو على صوت شاويش الساحة وهو يقول: عدد يا أبطال .. حضروا للعدد .... العدد على الباب .. ومهمة هذا الشاويش أن ينادي الأسرى ويهيئهم لما هو قادم سواء من العد، أو الطعام، أو الصلاة، أو اللعب أو الفورة أو الإفراج أو قدوم أسرى جدد أو أو ... إلخ .

نخرج إلى العدد فإذا كانت الأرض مبتلة نعد واقفين خلف الشبك في صفوف كل منها 15 أسيرا أما في غير أيام المطر نعد جالسين على الأرض في الساحة وتكون ظهورنا باتجاه الجنود والشاويش يواجهنا. بعد العدد المنغص أعود كباقي

إخواني إلى الخيمة لأنام حتى الساعة التاسعة في أيام البرد والمطر،أما في أيام الدفء ألبس نعلي وأخرج للرياضة في الساحة الضيقة وأركض ثم أمارس تمارين سويدية قرابة ساعة بعدها أذهب إلى الحمام لأستحم.

آه من هذا الحمام ...ضيق وبارد ....لا تدري أين تعلق ملابسك وعلى سوئه لا مفر من استعماله، وغالبا ما أغسل ملابسي في الحمام لعدم وجود وعاء للغسيل إلا إذا فتحنا باب تنكة زيت فارغة لتصبح وعاء للغسيل، وأنشر ملابسي على الشبك، أو على حبل الخيمة، ثم أمشط شعري وأرتب سريري و فراشي الذي أنام عليه، ويتكون السرير من خمس لوحات خشبية طول كل واحدة منها 180 سم وبين كل لوحة وأخرى 5 سم وهو غير مريح ولا يناسب للنوم ويورث ألما في الظهر .

أوقظ من بقي نائما، وأصلي الضحى ثم أتناول كتابا لأقرأ في انتظار الفطور الذي طالما يتأخر ومع الساعة العاشرة يكون جاهزا، ولن يزيد في أحسن الأحوال عن بيض مسلوق أو قليل من الفول، نصنع الشاي الصباحي في تنكة من تنكات الزيت الفارغة على قليل من النايلون والكرتون، بعد الفطور نبدأ بجلسات القرآن حتى الحادية عشرة، بعدها إما أواصل مطالعتي أو أتمشى في الساحة حتى صلاة الظهر، نصلي جماعة في الساحة وغالبا ما تكون بعدها موعظة للإمام .

تعلمت في هذا السجن لعبتين هما الضامة والدمينو، بعض الأيام ألعب مع زميل لمدة ساعة للترفيه، وقد يكون بجانبي مذياع نسمع الأخبار وما أقل الراديوهات والبطاريات، وفي الثانية يدخل علينا الغداء الذي يتكون من الرز وشوربة لا نعرف مكوناتها، ولم نذقها من قبل، أو شوربة الفاصوليا ولا غيرها بعد الغداء.

أذهب أنا وصديقي لتجميع الصحون التي أكل بها الأخوان إلى المغسلة، فاليوم دوري في جلي الصحون مع بعض الأسرى، عدتنا هي قطعة إسفنج من إحدى الفرشات القديمة مع قطعة صابون رملية وقد يساعدنا أحد الإخوة بالجلي والتنظيف.

بعد ذلك نستعد لصلاة العصر، وبعد الصلاة تخلى الساحة للعب كرة الطائرة حيث ينصب حبل بين الخيمة والحمامات وتحضر الكرة، وهي عبارة عن جراب أسير محشو بالقطع من القماش، والإسفنج ونعتبر الحبل هو الشبكة.

بقي ساعة ونصف للمغرب، أقرأ ساعة بعدها، وأذهب لصلاة المغرب ثم أقرأ المأثورات جماعة بعدها نصلي المغرب والعشاء جماعة جمع تقديم لشدة البرد ثم يكون درس لأحد الأخوة .

اليوم يوجد أمسية ثقافية س ، ج ونشيد تمكين الأبناء (اشتركت مع ثلاثة من إخواني وقابلنا فريق في مسابقة الأسئلة المتنوعة العلمية واللغوية والثقافية والجغرافية والتاريخية، النتيجة كانت 44 لصالح فريقنا و38 للفريق الآخر فزنا بجائزة مدهشه في اللجنة الثقافية. كل واحد فينا حصل على قلم وحبة ملبس وهي جائزة رمزية، ولقلة ما يتوفر من الأشياء القلم مهم جدا هناك، ثم فقرة النشيد

ومعرفة الشخصية، انتهت الأمسية ووزع الأخ شاويش الخيمة قطعة بسكوتة لكل أسير في الخيمة.

انتظرت العشاء ،ثم العدد تناولت جريدة الأسبوع الماضي لأقرأ ما لم أقرأه من تحليلات، ومقالات لأن الصحيفة تأتينا كل أسبوع مرة، الساعة 9:30 تأخر العدد عن موعده ساعة، عدد يا أبطال... أكثر كلمة تنغص على حياة الأسير، الجنود يريدون الدخول على الساحة يعني العدد على الأرض انتظرنا في صفوف حتى انتهى العدد المقيت، قدره ربع ساعة في البرد، ثم الصعود إلى السرير للمطالعة لمدة ساعة.

الساعة 11 نوم وداعا يا يوم، لا كهرباء ولا تلفزيونات ولا لقاء مع الأهل ولا وعاء فيه قهوة(19) .

أما الأسير الشهيد عمر القاسم فقد كان عام 1985 في سجن نفحة، يستيقظ مبكرا كل يوم وينتعل حذاء (بوت) الرياضة، وما إن ينتهي العدد حتى يخرج إلى الساحة للركض، وممارسة الرياضة لمدة ساعة كاملة، وكان يشجع الجميع دائما على الرياضة، ولم أر أسيرا ولم أسمع عن أسير كان يمارس الرياضة بشكل مستمر أكثر منه، ويعتبرها واجبا على كل أسير لحماية جسمه من الأمراض، وكان الأسير عطا القيمري من المواظبين معه على ممارسة الرياضة، وبسبب صغر الساحة فقد كان يستخدم الحبل ، وكان سريعا في استخدامه، لهذا ظل عمر القاسم يحافظ على لياقة بدنية عالية حتى استشهاده عام 1989 ، رحمه الله، بسبب إهمال إدارة السجون في علاجه من الأمراض التي خلفتها سنين الأسر الطويلة.

بعد الرياضة يستحم ويعود إلى الغرفة ليبدأ يومه بالفطور مع رفاقه الأسرى في الغرفة، وكان رحمه الله لا يحب الأكل إلا مع الجماعة حتى لو كان جائعا، وعندما كنت أسأله لماذا ذلك، فكان يقول: الأكل مع الجماعة تنمية لروح التعاون.

بعد الفطور يجلس على سريره مثل الآخرين للمطالعة أو الكتابة، فقد كان يكتب دائما عن أوضاع الأسرى وظروفهم المعيشية، وله في ذلك مؤلفات صادرتها إدارة سجن نفحة، وكانت عبارة عن ستة كراسات كبيرة، كل كراس عبارة عن كتاب من الحجم الكبير أكثر من مائتي صفحة، وفيها تاريخ الأسرى منذ 1967 حتى مصادرة الكراسات، كتبها لحظة معايشة الحدث ورقة ورقة. يبقى عمر في فراشه حتى موعد الفورة الصباحية فيخرج ليلتقي بالجميع، وكان دائما مشغولا في الساحة يحادث هذا ويناقش ذاك، ويجتمع مع آخر، ويحرص خلال ذلك أن يمشي على أطراف الساحة، بدل أن يقضي الوقت جالسا مثل بعض الاسرى، فهو يستغل كل لحظة للحركة للحفاظ على لياقة الأسير البدنية. وعندما ينتهي من لقاءاته الرسمية، ونقاشاته السياسية، يبحث عن أسير لم يتحدث إليه منذ فترة فيبادره بالحديث ويقضي معه بعض الوقت، فعمر القاسم رحمه الله كان يهتم دائما بعلاقاته الاجتماعية مع كل الأسرى بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية، وكان يرى أن العلاقات الاجتماعية مهمة للغاية لتحسس آلام ومشاكل الأسرى،

فالأسير لا يحتاج فقط إلى غذاء وماء، لكنه بحاجة إلى رعاية واهتمام، ومتابعة، لأنه مجموعة من المشاعر الإنسانية، فهو ليس حجرا، صلبا لا يحس ولا يشعر، بل لديه مشاكله الخاصة، لديه آلامه، لديه معاناته، فالأسير خالد ياسين من مخيم البداوي في لبنان، لم يزره أي أحد من أهله منذ عشر سنين، ولا يصله منهم سوى رسالة عن طريق الصليب الأحمر كل سنة مرة، هذا الأسير يحتاج إلى مشاركة، إلى دعم معنوي، وهناك أسير يموت أبوه أو أمه خارج القضبان، ولا يسمع بذلك إلا بعد شهر أو شهرين، وهناك أسرى مر على أسرهم سنوات طويلة، وما زالوا ينتظرون.

انتهت الفورة، يعود عمر القاسم للغرفة، استعدادا للغذاء، وبعد الغذاء يستريح الأسرى بعض الوقت، يكون عمر القاسم قد حضر ما عليه من مواد لجلسة المساء حيث سيقدم محاضرة عن موضوع يختاره لتثقيف رفاقه الأسرى.
يخرج الأسرى للفورة الثانية لمدة ساعة يستغلها في التحدث مع الآخرين، والنقاش معهم، وبعد الفورة، يخرج عمر القاسم من الغرفة منتقلا إلى غرفة أخرى للالتقاء مع لجنة من لجان الأسر التي يشارك فيها، فهو من لجنة الأسرى القيادية، وأحد الذين قادوا إضراب سجن نفحة الشهير عام 1980، مع رفيقيه محمد حسان، ويعقوب دواني، يعود قبل العشاء إلى الغرفة حيث تغلق الأبواب ويمنع بعدها التنقل من الغرف، يتم عد الأسرى ثم يتناول الجميع العشاء كالعادة في الغرفة على الأرض ، اليوم السبت يطلب محمد دوحان من الجميع تجميع الخبز من نزلاء الغرفة، فيوم السبت موعد تصنيع الحلويات من قِبَل الرفيق الشهيد محمد دوحان.

انتهى العشاء، يجلس الجميع بعد الاستراحة للمشاركة في تصنيع الحلويات فكل أسير في الغرفة وعددهم ثمانية مكلف أن يقطع حصته من الخبز قطعا صغيرة جدا، وعندما يحاول عادل أن ينسحب متنازلا عن الحلويات لأن عملية تقطيع الخبز مملة، يقترب منه عمر القاسم لائما: يا رفيق مشاركتك ضرورية ليس لكي تأكل الحلويات لكن لكي تشارك هؤلاء الاسرى أفراحهم من خلال تلك الأشياء الصغيرة.

انتهى إعداد الحلويات يأكل الجميع، ثم يستريحون قليلا بعد أن يشكروا أبو الدوح على تحضيرها، ينزوي عمر القاسم ببعض الرفاق يشرح لهم ما أعده هذا اليوم، يقرأ لهم رسالة وصلت من سجن آخر حول أوضاع الأسرى هناك، يختتم اجتماعه معهم، ينبههم إلى ضرورة أن يستغلوا وقت الفورة في إقامة علاقات اجتماعية مع الجميع، يتفرقوا كل على سريره للمطالعة، يتفقد عمر جميع رفاقه بالأسرى يبادلهم أطراف الحديث وقبل أن يغفو يحمل ورقة وقلما يسجل بعض الملاحظات، يكتب مقالا لمجلة نفحة الثورة والعطاء التي كان أحد رواده‍ا ويطالع أحد الكتب حتى يغلبه النوم.

لقد حرص الأسرى الفلسطينيون والعرب على تفويت الفرصة على إدارة السجون وسلطات الاحتلال الإسرائيلي، وعدم تمكينهما من تحقيق أهدافهما الخبيثة من وراء سياستهما القمعية في السجون الإسرائيلية والتي تتلخص بما يلي:

- منع تأثير الأسرى بالخارج.
- تفريغ الأسرى من أية ارتباطات وطنية وتحويلهم إلى مجرد سجناء عاديين، مجرمين ليس لوجودهم في السجن أية أهداف سياسية.
- الحد من تضامن أبناء شعبنا معهم، لإحباطهم وبالتالي، دفعهم لليأس.

وحتى يستطيع الأسرى تجاوز أهداف إدارة السجون، فقد حرصوا على استغلال وجودهم في السجن من أجل تطوير ثقافتهم وتعليم أنفسهم، وتعميق أواصر العلاقة الكفاحية بينهم، وتنمية معارفهم وإلمامهم بقضيتهم الوطنية وطبيعة صراعهم مع العدو الإسرائيلي، ليكونوا بحق صورة مشرقة لثورة تناضل من أجل حرية وطنها وشعبها.

صراع عنيف خاضه الأسرى الفلسطينيون والعرب بدأ بمطالبتهم بحق امتلاك القلم الذي كانت حيازته ممنوعة، والورقة التي كانت من المحرمات ويعتبر امتلاكها مخالفة يتعرض حاملها للبطش والتنكيل، وكانت علب السجائر الفارغة بمثابة الدفاتر الأولى التي استخدمها الأسرى لمراسلاتهم ونقل أخبارهم لبعضهم بعضاً.

إن النضالات الطويلة والباسلة التي خاضها مناضلونا في سجون الأسر الإسرائيلية هي التي جعلت إدارة السجون تسمح لهم فيما بعد بامتلاك القلم والورقة والسماح بإدخال العديد من الكتب خصوصاً التعليمية، كما سمحت لهم بالانتساب لامتحانات التوجيهية، وفيما بعد لبعض الجامعات العبرية التي تعلم عن بعد.

لقد استطاع الأسرى تطوير ثقافتهم في مختلف المجالات التاريخية والسياسية كما زادت معرفتهم بأصول عمل تنظيماتهم مما ساهم في حل الكثير من المشاكل الداخلية، وعملوا بنشاط لتعليم الأميين في صفوفهم ولم تمض فترة طويلة حتى أنشأ كل سجن مجلات ثقافية شهرية، وفصلية مكتوبة بخط اليد، وتوزع على الأسرى لقراءتها والاطلاع عليها، مما خلق تناغماً أدبياً وشاعرياً، فبرز الكتاب والأدباء الذين بدءوا ينشرون إبداعاتهم خارج القضبان ثم واصلوا الكتابة بعد الإفراج عنهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر القاص محمد عليان من جبل المكبر، وعطا القيمري من القدس، محمد أبو النصر من غزة، راضي الجراعي من قلقيلية، وحسن عبد الله من قضاء رام الله، والدكتور عادل سمارة من رام الله، وصاحب هذه الدراسة.

لقد أدخلت إدارة السجون بعد سنوات من الحرمان وبعد إضرابات طويلة عن الطعام، عبر الصليب الأحمر، وليس منحة من إدارة السجون، وأحياناً عبر الأهالي آلاف الكتب للسجون، وقد سعت إدارة السجون الصهيونية، على أن لا تكون الكتب الخاصة بالقضية الوطنية من بينها، فأدخلها الأسرى مكتوبة بخط اليد بطريقتهم الخاصة، مما ساهم في تنشيط العمل الثقافي في السجون بشكل دفع بقيادات الأسرى إلى تشكيل اللجان الثقافية، وعقد الاجتماعات الثقافية الحزبية والعامة التي كانت تتم مرة كل أسبوع كأقل تقدير، فنشأ في السجون جيل من المثقفين الذين منعتهم ظروف العمل، والنضال خارج السجن من القراءة، والكتابة فوجدوا ظروفاً مناسبة لتطويرها خلف القضبان، ولم تكن الأمور تمر

بسهولة فقد كان الصدام مع إدارة السجون حول هذه المسألة وارد باستمرار، وكانت ولم تزل سياسة مصادرة الدفاتر، وكل ما هو مكتوب بخط اليد سياسة دائمة لإدارة السجون، رغم كل ذلك فقد اعترف مسؤولون مختلفون في حكومة إسرائيل بأن الأسرى في السجون يمارسون تأثيرهم على الخارج ويرسلون لهم القرارات، والتوجيهات وبأنهم يستخدمون السجن للتحريض وتنظيم الأسرى الذين تعتقلهم السلطات لنشاطات سياسية بدون أن يكون لهم أية انتماءات حزبية.

لقد أكد أكثر من مسؤول في إدارة السجون الإسرائيلية أن الدفاتر التي تصادرها إدارة السجون من الأسرى لا تعمل على إتلافها، ولكنها تعمل على الاحتفاظ بها وعرضها على لجنة خاصة في إدارة السجون لكي تحلل من خلالها سياسة الأسرى، معنوياتهم، سلوكهم اليومي علاقتهم الداخلية لكي تستخلص النتائج حول مدى عدائهم لإسرائيل، ولتكون بصورة مواقفهم السياسية.

إن أكثر المجلات الاعتقالية التي حافظت على استمرار صدورها في موعدها المحدد، واستطاعت أن تتجاوز مظاهر الخلافات السياسية بين الفصائل هي مجلة "نفحة الثورة" في ثمانينات القرن الماضي التي كان يكتبها الأسرى في سجن نفحة، وقد كتب في هذه المجلة عدة كتاب استمروا في الكتابة بعد الإفراج عنهم، منهم على سبيل المثال، محمد عليان، عطا القيمري، راضي الجراعي، هشام عبد الرازق، وصاحب هذه الكتاب.

لقد ساهمت تجربة تطوير الوضع الثقافي وحملات التوعية في السجون إلى تطوير وعي الأسرى وتصليب انتمائهم، ورفع معنوياتهم، وتوسيع مداركهم، وحسهم الأمني في مواجهة إدارة السجون، وهذا ما يفسر سبب انتشار ظاهرة عزوف غالبيتهم بعد الإفراج عنهم عن العمل الوطني في السبعينات، واستمرار أغلبهم في النضال الوطني فيما بعد، حيث أصبح من السهل أن ترى اليوم أسرى يعتقلون للمرة الثانية أو الثالثة.

الانتساب للجامعات

أما بالنسبة للانتساب للجامعات فقد استمرت إدارة السجون برفض الطلب، هذا إضافة الى أن جامعات الداخل لم تكن تسمح بالتعلم عن بعد، وحتى عندما سمحت بذلك لبعض الحالات فقد رفضت السلطات الإسرائيلية ذلك ولم توافق على انتساب الأسرى للدراسة في الجامعات الفلسطينية.

لكن الأسرى لم يستسلموا وأكملوا دراساتهم بطريقتهم الخاصة، فقد توج الأسير ناصر عبد الجواد (38 عاماً من قرية دير بلوط) والذي يمضي حكما بالسجن 12 عاماً مسيرة التعليم داخل السجون بحصوله على درجة الدكتوراه ليكون أول أسير فلسطيني يحصل على هذه الدرجة العلمية أثناء فترة محكوميته، و ذلك بعد أن ناقش رسالة الدكتوراه التي تحمل عنوان (نظرية التسامح الإسلامي مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) من سجن

مجدو عبر الهاتف الخلوي لمدة ساعتين مع جامعة النجاح الوطنية، واستخدام الهاتف ظل سرا وغير مسموح به من قبل إدارة السجون(20).

ومثال على ذلك أيضا الأسير اللبناني سمير قنطار، الذي انتزع حق الانتساب والتعلم بعد إضراب عن الطعام دام 19 يوماً مع رفاقه الأسرى في التعلم بالمراسلة من داخل سجنه وبعد جهود كبيرة، ومتواصلة ومتعبة سمح له في عام 1992 الالتحاق بجامعة تل أبيب المفتوحة وهي تسمح بانتهاج أسلوب التعلم عن بعد وقد تخصص بمادة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأنهى دراسة الإجازة في حزيران العام 1997 وبعد أن أنهى المواد المطلوبه منه، وكتب بحثين إضافيين إلى المواد بعنوان (المفاجآت العسكرية في الحرب العالمية الثانية)، والثاني بعنوان (تناقض الأمن والديمقراطية في إسرائيل)، وفي تموز العام1998 طلب الأسير سمير القنطار متابعة دراسته العليا في جامعة خاصة موجودة في إسرائيل، ولكن إدارة السجن رفضت طلبه معتبرة انه لا يمكنه الدراسة إلا في جامعة عبرية كي تراقب مضمون المواد، وهو حالياً يحاول متابع دراسة الماجستير في مادة (الديمقراطية)، وتجاوز العقبات التي وضعتها مديرية السجون وهو يقول:

(ما دام الإسرائيليون مصرون أن أبقى هنا فلا مانع لدي من إكمال دراسة الدكتوراه)(21). فهل ينهي سمير دراسته خلف القضبان، أم يتم الإفراج عنه بتبادل الأسرى بين لبنان، وإسرائيل ويكمل دراسته في ربوع بلده الحبيب؟

مشاكل خاصة

لكل سجن قوانينه الخاصة التي قد تختلف نسبياً عن سجن آخر، ولكل أسير أيضاً مشاكله الخاصة، بعض هذه المشاكل ما يحتاج إلى اهتمام لجنة الأسرى، والعمل على حلها.

فعلى سبيل المثال، قد يكون في السجن أسير اعتقلته إسرائيل من لبنان ولا يوجد له أقارب في الداخل لزيارته، فترتب له اللجنة زيارة دائمة من أهالي أحد الأسرى، لكن ذلك أصبح ممنوعا منذ مطلع التسعينات، ومن الأمثلة على المشاكل الخاصة مثلاً وجود أخوين في الأسر كل منهما في سجن يختلف عن الآخر مما يخلق المتاعب والمشاكل للأهل بالزيارة، حيث يطالب الأسير هنا من خلال ممثل المعتقل بنقله إلى السجن الآخر ليكون مع أخيه بنفس السجن وتضع الإدارة العراقيل أمام تنفيذه . وفي أواخر الثمانينات قررت ادارة السجون السماح للاقارب فقط بالزيارة ومنعت الآخرين كالأصدقاء والمعارف مما حرم مئات الأسرى العرب والفلسطينيين القادمين من لبنان والأردن من الزيارة حيث يعيشون دون أن يزورهم احد .

وقس على ذلك أمثلة كثيرة بعضها قد يكون عاطفياً واجتماعياً، ومن الخطأ جداً الاعتقاد أن الأسرى رجال من الحديد لا يحسون ولا يتألمون بل هم بشر لهم مشاعر، وأحاسيس عاطفية واجتماعية يحتاج بعضهم لرعاية لجان الأسرى ومواساة من حوله، فأسير يقضي حكماً بالسجن عشرين سنة مثلاً ويسمع عن وفاة أخيه أو أبيه وأحياناً ابنه، وهو خلف القضبان يتأثر كما يتأثر أي شخص عادي، بل وأكثر قليلاً لأنه خلف القضبان.

أسير آخر أهله في الأردن مثلاً يزورونه كل خمس سنوات مرة بسبب إجراءات الاحتلال، ورفض السماح لهم دخول المناطق المحتلة، وغير ذلك من المشاكل والمعاناة التي لا يفهمها ولا يشعر بمعناها الحقيقي إلا الذين عاشوها وذاقوا مرارتها.

أساليب متنوعة في مواجهة إدارة السجن

ليس في أيدي الأسرى حجارة يلقونها على السجانين، ولكن لديهم وسائلهم الخاصة، اكتسبوها خلال صراعهم الطويل مع إدارة السجون، تجارب غنية ساعدتهم في مواجهتها، وتختلف وسائل المواجهة مع إدارة السجن من وقت لآخر، وتلعب طبيعة المطالب الاعتقالية دوراً في تحديد أشكال المواجهة التي تتراوح بين الإضراب الجزئي عن زيارة مثلاً، أو عن وجبة طعام وغالبا ما يكون الغذاء أو العشاء، أو عدم الالتزام بأوامر إدارة السجن في بعض القضايا الجزئية وانتهاء بالإضراب التام والمفتوح عن الطعام، والذي لا يتخذ القرار به إلا بعد استنفاذ كل سبل الحوار مع إدارة السجن.

عند اتخاذ قرار الاضراب عن الطعام تقوم لجنة الاضراب بالاجراءات التالية :

- الإعداد النفسي للأسرى، وشرح أضرار الإضراب الجسدية.
- إعطاء تعليمات بكيفية التصرف في كل حالة يواجهها الأسرى.
- منع كبار السن والمرضى من المشاركة بالإضراب حتى لا يتضرروا أو يضطروا لفك الإضراب وبالتالي التأثير على معنويات البقية، ونقلهم إلى غرفة خاصة.
- جمع كل المواد الغذائية الموجودة في السجن وتسليمها للإدارة حتى لا تدعي أن الأسرى غير مضربين.
- تعد لجنة الأسرى عن الإضراب رسائل عديدة إلى الخارج، هيئات دولية، صحافية، م.ت.ف. الخ، تشرح عن أوضاعهم وقرارهم بالإضراب وتطالب بالدعم الإعلامي الفعال لذلك، وتحاول لجنة الأسرى أن تدرس ملاءمة الوضع خارج السجن لإعلان الإضراب، وبالتالي استعداد الناس للتظاهر والاعتصام تضامناً معهم، إذ لن ينجح إضراب مفتوح عن الطعام دون مشاركة الخارج وتحركهم الفعال، هذا ما أثبتته تجارب الصراع في السجون.

- انتخاب لجنة الإضراب، يجري تحديد لجنة الإضراب من قبل ممثلي الأسرى وبخلاف تعيين ممثلي التنظيمات، فإن لجنة الأضراب تخضع لموافقة كل الفصائل ويتم استمزاج الأسرى فيها. فهي ستقود الأسرى لحرب الأمعاء، وهي معركة شرسة، قد يستشهد الأسير فيها لذا فإن ثقته بالقيادة مسألة مهمة تشجعه على مواصلة الإضراب والصمود. اختيار قيادة الإضراب مسألة مهمة جدا، فالأسرى بحاجة لقيادة مجربة مرنة تعرف متى تبدأ الإضراب وكيف تنهيه. ففي وقت الإضراب تمنع الإدارة تحرك الأسرى وزياراتهم، وقد توزعهم في زنازين وغرف مختلف، وربما تنقل بعضهم ، لذا فإن قيادة الأسرى يجب أن تعرف كيف تدير المعركة بأقل قدر من الإصابات.

وباستمرار فإن لجنة الإضراب يكون لها لجنة خلفية وهذه بدورها لها لجنة خلفية ثانية، وهكذا، حتى إذا أقدمت إدارة السجن على نقل لجنة الإضراب من السجن خلال الإضراب يكون قد حل محلها لجنة جديدة لقيادة الإضراب حتى لا يتعرض للانهيار.

الإضراب عن الطعام ليس نزهة، فقد يؤدي إذا طالت مدته إلى استشهاد بعض الأسرى، فقد استشهد أسرى أصيبوا بأمراض عديدة لمشاركتهم في إضرابات عن الطعام مثل إسحاق مراغة (سلوان وكان محكوماً عشرين سنة)، وأنيس دوله من قلقيليه (محكوم مؤبد)، عون العرعير، رمضان البنا، كما استشهد معتقلون آخرون لكثرة الأمراض التي خلفها طول الأسر في أجسامهم ومنها بسبب الإضرابات، مثل الشهيد عمر القاسم أمضى 21 سنة في السجن واستشهد فيه، حافظ غنام وعبد الرحيم الشطريط وغيرهم الكثير(22).(انظر الملحق)

وتحرص لجنة الإضراب على الإعلان عن بدئه بعد أول فوج زيارة لكي يخبر الأسرى أهاليهم بقرار الإضراب، ويطالبونهم إعلان تضامنهم معهم ثم يقطعون زيارتهم عائدين إلى السجن، وفي الوقت الحاضر قد يعلن الإضراب بعد زيارة محام أو بعد اتصال هاتفي مع لجان الأسرى في الخارج من خلال هاتف مهرب للسجن.
في كل الأحوال لا يجري الإضراب الطويل بدون تنسيق مع الخارج.

بعد القرار عن بدء الإضراب تسلم لجنة الإضراب المواد الغذائية للإدارة لحفظه حتى انتهاء الإضراب. وتجمد جميع اللجان الأخرى المشكلة من قبل المنظمات، وتصبح لجنة الإضراب هي المرجع لكل المواجهات في السجن حتى انتهاء الإضراب.

السجون الأخرى تعلن تضامنها على طريقتها الخاصة مع إضراب أي سجن، وفي أغلب الأحيان تلتحق بالإضراب بعد أيام وبشكل تصاعدي مثلا سجن كل يوم وغالباً ما تكون المكاسب التي يحققها أي سجن مكسبا لكل السجون، لأنها تنعكس عليها.

إن أهم المكاسب التي حققها الأسرى حققت بالإضراب المفتوح والطويل، فالسماح للأسرى بالنوم على فرشات إسفنج (سمك 12 سم) لم تتم إلا بعد

الإضراب عن الطعام، والسماح بالنوم على أسرة من حديد لم يتم إلا بعد الإضراب، وإدخال الراديو والتلفزيون وتحسين نوعية الطعام.. لم يتم إلا بعد إضراب وسقوط شهداء.

لقد خاض الأسرى عشرات الإضرابات التي استمرت من يوم إلى 54 يوما، لكن أبرزها وأطولها مدة كان:

- إضراب عسقلان في مطلع السبعينات، والذي استمر حوالي الشهر وأدى الى استشهاد عبد القادر أبو الفحم.
- إضراب عسقلان عام 1978 استمر 54 يوماً.
- إضراب سجن نفحة الشهير الذي صاحبه حملة لقمع الأسرى بإشراف وزير الداخلية الإسرائيلي آنذاك د. يوسف بورغ عام 1980، حيث أشرف بنفسه على نقل قسم من المضربين من سجن نفحة إلى سجن الرملة، ليتعرضوا إلى محاولات فك إضرابهم بالقوة حيث استخدم ضدهم أشد وأشرس أجهزة القمع والضرب، مما أدى الى استشهاد راسم حلاوة وعلي الجعفري، وكاد الشهيد إسحاق مراغة أن يستشهد حينها إلا أن طبيب السجن عمل كل جهده لإنقاذه (استشهد فيما بعد) قائلاً له: لن أتركك تستشهد لأني لن أتركهم يصنعون منك بطلاً قومياً. استمر الإضراب شهراً كاملاً وهو أشرس إضراب وأكثره عنفا، سنتحدث عنه في الفصل القادم.
- إضراب سجن جنيد عام 1985، استمر حوالي أسبوعين.
- إضراب عدة سجون عام 1992 والذي استمر 15 يوما.
- إضراب السجون عام 1996 والذي استمر 18 يوما.

الإضرابات المذكورة كانت أهم الإضرابات لأن نتائجها كانت ذات نفع نسبي على الأسرى، وكانت كل منها نقطة تحول في تاريخ المعتقلات، ولكن يبقى إضراب سجن نفحة العلامة المضيئة لأنه كان مواجهة شاملة بين حكومة إسرائيل وإرادة الأسرى، وإذا كان جميع أسرى "نفحة" قد قاموا بدورهم في التصدي لمخططات الإدارة، فإن قيادة الإضراب كان لها الدور الكبير في نجاحه، والتي كانت تتشكل من الشهيد عمر القاسم، ويعقوب دواني، ومحمد حسان.

عملاء وجواسيس خلف القضبان

ضمن أساليبها القمعية في محاربة الأسرى تستخدم إدارة السجون العملاء والمتساقطين في تنفيذ مخططاتها لضربهم، وإثارة الخلافات بينهم لإلهائهم عن مواجهة إدارة السجون بمطالب جديدة.

للسلطات الإسرائيلية أساليب كثيرة ومتنوعة لإسقاط الجواسيس خارج السجون وداخلها، ولا تستغرب أيها القارئ إذا علمت أن المخابرات الإسرائيلية قد تكلف

أحد عملائها سواء رضي أم لم يرض، بدخول السجن تحت أية تهمة تحبكها له للقيام بمهمة التجسس على الأسرى داخل السجن، ولكن معظم الجواسيس الذين اكتشف أمرهم في السجون كانت السلطات الإسرائيلية قد أسقطتهم داخل السجن، وخصوصا أثناء التحقيق.

تبدأ محاولات الإسقاط منذ اللحظات الأولى للأسر، أي التحقيق، حيث يلجأ المحقق إلى ترغيب بعض الأسرى بالإفراج عنهم دون محاكمة أو إصدار أحكام خفيفة عليهم، مقابل تعاملهم مع السجانين ونقلهم المعلومات المطلوبة منهم، كما تلجأ إدارة السجون فيما بعد إلى محاولات إسقاط الأسرى من خلال عدة أساليب منها:

- عدم تقديم العلاج اللازم إلا مقابل التعاون.
- الإفراج قبل انتهاء مدة الحكم.
- تسهيل وصول الرسائل وأغراض الأهل.

وغالباً ما تكون مطالب إدارة السجن في البداية من المتساقطين عادية لا توحي بالتجسس، وذلك لتشجيعهم على القيام بها مثل الطلب منهم معرفة أسماء إخوة، وأخوات زميل لهم في السجن، مع أن إدارة السجن لا ينقصها مثل هذه المعلومات غير السرية، وعندما يقوم المتساقط بنقل أول معلومة تبدأ إدارة السجن الإيحاء له أنه أصبح جاسوساً خطراً، وأن رفاقه سيعدمونه إذا علموا بأمره، وأن إدارة السجن ستضطر إلى كشفه لهم ليعدموه إذا تراجع عن التعامل معهم، وهكذا تحاول إدارة السجون جلب المتعاونين، وتقطع عليهم خط التراجع، ويعلم قادة الأسرى هذه الحقيقة من خلال التحقيقات التي أجروها مع الجواسيس الذين ينكشف أمرهم، وهم لذلك لا يعاقبونهم بنفس العقاب، وإنما يعاقب كل جاسوس حسب المعلومات التي قدمها للعدو، ونسبة الضرر التي لحقت بهم منه. الجواسيس الخطرون والذين ساهموا بقتل الوطنيين يجري إعدامهم إذا توفرت الظروف المناسبة لذلك. أي أنه لن يطلب من أسير بقي للإفراج عنه من السجن سنتان مثلا، قتل جاسوس بل يقدم على تنفيذ قرار الإعدام أسير محكوم مدى الحياة، لأنه سيضاف لمدة حكمه بعد قتل الجاسوس سجنا بمدى الحياة مرة أخرى.

إن ما يشجع الكثير من الجواسيس غير المتورطين بأعمال خطرة على التراجع ليس فقط محاولات الأسرى قطع ارتباطاتهم، ومعاقبتهم، ولكن لأن قسما كبيرا منهم يكتشفون بعد فوات الأوان أن إدارة السجون لا تفي بوعودها لهم، وكل ما يهمها هو توريطهم، وبعد ذلك لا يهمها كشفهم وإعدامهم، فإدارة السجون يهمها في مراحل معينة إسقاط الكثير من الجواسيس ثم كشفهم لزملائهم مرة واحدة، لماذا؟ لكي تساهم في خلق حالة من الإحباط لدى أسرى آخرين خصوصاً الجدد منهم الذين يتساءلون عن معنى وجود هذا العدد من الجواسيس في صفوفهم.

كما تهدف إدارة السجن إلى قتل الروح المعنوية للأسير حتى لو لم يتعامل معها بشكل عملي، فالمحققون يلجأون أحياناً إلى أساليب قذرة مع الأسرى صغار

السن، حيث يجبرونهم على التوقيع على أوراق بيضاء بالقوة يكتبون عليها فيما بعد بأن الأسير الفلاني قبل التعامل مع المخابرات، ثم يطلبون منه تقديم المعلومات وإلا كشفوا توقيعه بالموافقة على التجسس إلى رفاقه الأسرى، وقد حدثت هذه الأساليب وبشكل واسع في سجن غزة في مطلع الثمانينات مما استدعى قيادة الأسرى بإصدار بيان لجميع الأسرى يوضح أن كل من وقع على ورقة بيضاء بالقوة لا يعتبر جاسوسا، وعليه أن يقدم تقريرا لإدارة التنظيم حول ماجرى معه، واعتبار التوقيع على الأوراق خلال التحقيق وبالاكراه لا تعني تعامل الأسير مع السجان، وهكذا استطاعت قيادة الأسرى تفويت الفرصة على المحققين لإسقاط الأبرياء والمناضلين.

ماذا تريد إدارة السجون من الجواسيس والعملاء؟

- إسقاطهم من الصف الوطني
- إحباط الناس والأسرى الآخرين بوجود جواسيس بينهم
- نقل المعلومات للإدارة عن تحرك الأسرى، مثل قرارهم بالإضراب، آرائهم، العلاقات بينهم..الخ
- محاولات إثارة الفتنة بينهم، مثلاً قيام الجاسوس بافتعال مشكلة مع أسير من تنظيم آخر لإثارة المشاكل بين التنظيمين، مثلاً أحد الجواسيس كان مكلفاً بسرقة القداحات المستخدمة لتوليع السجاير من الأسرى ورميها، وذلك لكي يتهم كل أسير رفيقاً له بالقيام بالسرقة وخلق حالة من البلبلة.

- إسقاط جواسيس آخرين. كانت إدارة السجون تكلف بعض الجواسيس بإسقاط آخرين مثلهم، أو الاقتراح على الإدارة أسماء أشخاص يمكن للإدارة تجنيدهم لصالحها.
. وأخيراً تضليل قيادة الأسرى، حيث تقوم إدارة السجون بالإيحاء لجواسيسها بأن فلاناً، وفلاناً من الجواسيس العاملين معها ، وتطلب منهم الاعتراف وأن يشهدوا عليهم في حال انكشافهم، ولكي تمرر الإدارة أسلوبها تحرص على أن يكون بين الأسماء المذكورة جاسوس، أو أكثر غير مكشوفين، تفرط بهم من أجل أن تدس بينهم اسم أحد الوطنيين لكي يتهمه رفاقه بأنه جاسوس، ويحققون معه، وقد وعى الأسرى هذه الأساليب بعد أن انطلت عليهم أحد المرات، فاتهموا أحد الوطنيين بالتجسس، وهو منها براء.

كيف يكتشف الأسرى الجواسيس، والعملاء؟

أولاً، لا بد من الإشارة إلى أن الأسرى الفلسطينيين والعرب قد اكتسبوا تجاربهم بالتدريج عبر صراعهم مع إدارة السجون، وأن أوضاعهم اليوم، وخبرتهم في أساليب الجواسيس، وأساليب كشفهم قد نمت وتطورت، وليس من المفيد الحديث عن ذلك بأسهاب، لأنها تظل أحد أساليب الأسرى السرية في مواجهة إدارة السجن، ولكن من المفيد القول أن قيادة الأسرى تسهر على أمن الأسرى وتتخذ القرارات التي تكفل ذلك، كما تشكل اللجان الخاصة والسرية لنقل

المعلومات الأمنية أو أية تجاوزات في هذا المضمار، ويتبادل الأسرى في السجون هذه المعلومات من سجن لآخر لأن إدارة السجون تنقلهم من سجن لآخر كل فترة.

يوجد في كل سجن مسؤولون أمنيون مكلفون بمراقبة أية تحركات تثير الشبهة. كما يراقبون الأسرى الذين يثيرون المشاكل بينهم، أو إثارة النعرات الحزبية، وبعد تجميع المعلومات تقرر لجنة الأمن لدى الأسرى إن كان بينها من يتجسس عليها، وتختار الوقت المناسب للتحقيق معه.

المعلومات الأمنية التي تخص الأسرى تبقى سرية ولا يحق لأحد الإطلاع عليها سوى لجنة الأمن وقيادة التنظيم فقط.

لقد تم إعدام العديد من العملاء الخطرين الذين قاموا بمخالفات أمنية خطيرة ضد شعبهم، ويكون القرار بالإعدام في هذه الحالة قراراً وطنياً، الشهيد عمر القاسم أعدم العميل مازن الفحماوي من جنين الذي قام بتسميم المياه في مدرسة البنات في جنين في مطلع الثمانينات، وقام بإسقاط بعض الفتيات اللواتي خدرهن في أحد الصالونات التي كان يتعامل صاحبها مع المخابرات الإسرائيلية، وقام بممارسة الجنس معهن وتصويرهن بأوضاع مشينة ثم تقديم تلك الصور للمخابرات التي كانت تواجه الفتاة بها بعد استدعائها، وتعرض عليها التجسس أو نشر صورها، إحدى الفتيات الضحايا، قامت بالانتحار بعد مغادرتها مركز التحقيق. وقد قدر لي أن أحضر محاكمة الشهيد عمر القاسم في محكمة تل أبيب مع عدد من معارفه حيث أكد في معرض دفاعه عن نفسه أمام القضاة اليهود: إن الثورة الفلسطينية هي التي قررت إعدام الجاسوس مازن الفحماوي، وإن دوره كان تنفيذ حكم الإعدام بخائن بحق شعبه ووطنه.

القضاة حكموا على الشهيد عمر القاسم بالسجن مدى الحياة إضافة لمدة حكمه السابق، مؤبد (مدى الحياة) و27 سنة، فأصبح حكمه الجديد مؤبدين و27 سنة. نفذ الشهيد عمر القاسم قرار إعدام مازن الفحماوي في معغار الرملة.
وقد حاولت حينها بعض العناصر السلبية داخل حركة فتح في السجون، بالتحريض ضد عمر القاسم لأنه أعدم جاسوسا محسوبا على فتح، وبالتالي تدخله في شؤونها، ولم تحل تلك المشكلة إلا عندما أرسل القائد الشهيد أبو جهاد نائب الراحل ياسر عرفات رسالة إلى كل كوادر فتح بالسجون يؤكد فيها على مايلي:

- إن قرار إعدام مازن الفحماوي الذي نفذه القائد عمر القاسم تم بقرار من أبو جهاد شخصيا، وعليه يمنع أي فتحاوي أن يتعرض للشهيد عمر القاسم قولا أو فعلا.
- يحذر أبو جهاد كل من يتعرض للقائد عمر القاسم بالطرد من فتح واتخاذ العقاب ضده.
- يحيي أبو جهاد وقيادة م ت ف القائد الأسير عمر القاسم لتنفيذه قرار الإعدام بحق الجاسوس الخائن مازن الفحماوي.

كما نفذ الأسير الشهيد محمد دوحان قرار الإعدام بحق أحد الجواسيس أيضاً وكذلك فعل الأسير أشرف العجرمي في سجن غزة بتنفيذ قرار الأعدام بحق أحد الجواسيس الخطرين، رغم أن العجرمي لم يكن من أصحاب الأحكام العالية.

دور المرأة في الكفاح الوطني

تابعت المرأة الفلسطينية غمار النضال الوطني المعاصر بشكل فعال منذ الاحتلال الإسرائيلي لما تبقى من الأرض الفلسطينية عام 1967، وساندت الرجل في شتى ميادين الكفاح، وتعرضت معه إلى التنكيل والأسر، فقدمت بذلك الشهيدات، والجريحات، والأسيرات اللواتي ما زال بعضهن يقبعن في سجون الاحتلال حتى دفع هذا الكتاب للنشر في آب 2006، وسوف تظل تجود بعطائها، حتى ينجز الشعب الفلسطيني تحرره الوطني ويقيم دولته المستقلة، فوق ترابه الوطني، وعودة لاجئيه إلى وطنهم والإفراج عن أسرانا الفلسطينيين والعرب. وستكون بعد ذلك عونا له في البناء والتعمير.

من الأسيرات الأوائل الذين كان لهن شرف رفع الرايات الأولى لنضال المرأة الفلسطينية بعد عام 1967 إضافة إلي فاطمة البرناوي التي تعتبر أول أسيرة فلسطينية، حيث اعتقلت في تشرين ثاني 1967 ، عائشة عودة، ورسمية عودة، ومريم الشخشير، وتريز هلسة، وعطاف يوسف، ورشيدة عبيدو، وعزية وزوز، وعبلة طه، وأخريات.

عدد الأسيرات مثل الأسرى يتغير من شهر إلى شهر فهو يعتمد على حملات الاعتقال التي تقوم بها سلطات الاحتلال بين الفينة والأخرى ضد المناضلات الفلسطينيات، وفي تصريح لوزير الاسرى الفلسطيني لمركز الإعلام الفلسطيني في الأول من أيار 2006 أشار الوزير وصفي قبها إلى أن عدد الأسيرات الفلسطينيات ارتفع إلى 145 أسيرة، من بينهم 6 قاصرات و21 أسيرة من الأمهات اللواتي يعلن أطفالا يقبعن في سجني تلموند والرملة للنساء .(23)

بعد أنتهاء التحقيق تنقل الأسيرة إلى السجن، الذي يختلف بعض الشيء عن سجون الأسرى بشكل عام بسبب قلة عدد نزيلاته من الأسيرات مما يعرضهن للقمع، والاعتداء عليهن من قبل السجانين والسجانات، فقد أفادت الأسيرة آمنة منى من القدس أن إدارة سجن تلموند للنساء كانت تربطها بالسرير الذي تنام عليه وتضربها بقوة حتى يسيل دمها من رأسها، وقد مورس ذلك مع عدد من الأسيرات(24). هذا ويشير الباحث الفلسطيني هشام سلامة أن السجانين والسجانات كانوا يقومون بنتف شعر الأسيرات، وبعد ذلك استخدامه للتعذيب بلفه على أيدي أية أسيرة تتعرض للعقاب. هذا إضافة للشتم الدائم واستخدام الألفاظ النابية(25).

ويشير نادي الأسير، وجمعية الاسرى والمحررين، أن السجانات في قسم النساء يجبرن الأسيرات المتحجبات على خلع الحجاب بالقوة كما حصل مع الأسيرتين سناء عمرو، ورابعة الحمايل(26). وتفيد الأسيرة آمنة منى في مقابلة خاصة مع محامي نادي الاسير أن إدارة السجين كأنت تضع الأسيرات في غرفة مليئة بالفئران والصراصير، وكثيرا ما كانت السجانات يقمن برش الغرف بما فيها من فرشات، وأسرة وملابس بالماء ويجبرنهن على النوم فوق فرشات مبلله مما يعرضهن للأمراض المزمنه. وفي إفادتها للمحامي رائد محاميد عن نادي الأسير الفلسطيني فقد أكدت الأسيرة آمنه موسى المحكومة بالسجن المؤبد أنها تنام في زنزانة انفرادية، وعلى فرشة ارتفاعها عشرة سنتميتر عن الأرض دائما مبلولة بالماء الذي يرش عليها، وليس في الزنزانة حمام سوى فتحة كبيرة في الأرض يخرج منها الفئران والجرذان الكبيرة المخيفة، كما أشارت أن جو الزنزانة غير صحي ولا يختلف عن القبر.(27)

ولا يتوقف العقاب على الأسيرات فقط، لكنه يطال أطفال بعضهن الذين يعيشون مع أمهاتهم في السجن فقد ذكر المحامي محاميد بأن الطفل الأسير نور ابن الأسيرة منال غانم لم يسلم من العقاب حيث لم يحصل على الحليب لمدة اسبوع ونصف، وكان دائم البكاء بسبب الجوع والمرض بسبب تعرضه للرشق بالماء البارد والغاز مع رفيقاته الأسيرات عام 2005.(28)

تتعرض الأسيرات مثل رفاقهن الأسرى للتفتيش المفاجئ والمهين لكن رغم قلة عددهن فإن السجانين الرجال هم الذين يقومون بالتفتيش، ويقتحمون غرف السجن بدون إنذار قد تكون إحداهن بالحمام، أو تستحم ويبدأون بالتفتيش الجسدي المهين حيث يأمرون كل أسيرة محجبة بخلع الحجاب بالرغم منها.

أسيرات قاصرات خلف القضبان

لايوجد سن محدد للأسر، فكل فلسطيني أو فلسطينية معرض ومعرضة للأسر، حتى لو كان عمرها عشر سنوات فهذه الأسيرة المريضة غادة صابر محمد أبو حميد (14 عاماً) من مدينة الخليل تبحث عن علاج لفقر الدم الذي كأنت تعأني منه قبل دخولها السجن، وتفاقم اليوم بفعل الغذاء القليل وغير الصحي الذي يقدم للأسيرات.. عندما تطلب علاجاً يقدم لها الماء .. "اشربي الماء فهو العلاج الوحيد المتوفر حاليا"، هذا ما يقدمه السجانون للأسيرات من علاجات طبية.

وتتذكر الطفلة تلك اللحظات وتقول: (طلبت أن اذهب إلى المرحاض ولكنهم رفضوا... وطلبت طعاما وأيضا رفضوا وبقيت يومين بدون أكل ولا ماء فكل شيء

يخبروني أنه ممنوع.. بقيت على الكرسي ونمت عليه ولم يكن هناك فرشة، أو بطانية وبقيت على هذه الحال مدة يومين)(29).

ويوجد خلف القضبان عدد من الأسيرات من بينهن(30)

- مجد الكخن وأسيل هندية من نابلس وعمر كل منهما 14 سنة
- نعمة البخاري 14 سنة
- إسراء خليل 14 سنة
- ياسمين الرجبي من الخليل 14 سنة
- آية عوض 17 سنة
- ولاء يونس
- إسلام عدوين
- يسرى عبده
- عهود الشويكي

أسيرات يلدن خلف القضبان

قالت مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان أن ثلاث فلسطينيات وضعن مواليدهن في السجون الاسرائيلية بعد ولادة الأسيرة سمر صبح في مستشفى مائير الإسرائيلي تحت حراسة مشددة، وظروف مأساوية بعملية قيصرية في نيسان 2006.

وذكر الباحث أحمد حامد بيتاوي من مؤسسة التضامن فى حديث خاص لوكالة أنباء رامتان أن الأسيرة منال غانم وضعت مولودتها نور والاسيرة ميرفت طه وضعت مولودها وائل والأسيرة الثالثة هي سمر صبح ومولودها براء(31).

وأضاف بيتاوى أن هناك أسيرة فلسطينية تحتضن طفلتها وجدد اعتقالها الإداري مؤخرا وهي الأسيرة عطاف عليان، وطفلتها عائشة التي أدخلت إليها مؤخرا عقب رفض إسرائيل الإفراج عنها وهي زوجة الأسير المحرر الكاتب والباحث وليد الهودلي(32).

الهوامش

1- البوسطة: تطلق كلمة البوسطة على سيارات السجن الكبيرة التي تشبه سيارة البوكس في مصر التي تنقل الأسرى من سجن لأخر
2- المحامية حنان الخطيب، نادي الأسير الفلسطيني، تقرير أيار 2006
3- المصدر السابق
4- المصدر السابق
5- المصدر السابق
6- المصدر السابق
7- المصدر السابق
8- المصدر السابق
9- موقع الجولان : http://www.jawlan.org/prisoners/hailabuzeid/hailabuzeid.htm
10- تقرير وزارة شؤون الأسرى والمحررين، إنسان أون لاين، 9 نيسان، 2006
11- المصدر رقم 2
12- المصدر السابق
13- المصدر السابق
14- المصدر السابق
15- وزارة الأسرى والمحررين، فلسطين، غزة
16- المصدر رقم 2
17- المصدر السابق
18- المصدر السابق
19- موقع صابرون، 11 آذار 2003 http://www.sabiroon.org/index.phtml?CatTable=SB&ParentID=pMem&ArticleID=1453&Lang=Arabic&Redirect=&Start=1&End=10&BR=BR
20- إسلام أون لاين 16 آب 2003: http://www.islamonline.net/Arabic/news/2003-08/16/article13.shtml
21- موقع الأسير اللبناني سمير قنطار،
22- عبد الناصر فروانة، وزارة الأسرى والمحررين.
23- تصريح لوصفي قبها، المركز الفلسطيني للإعلام، 1 أيار 2006
24- نادي الأسير الفلسطيني تقرير عام 2005
25- المصدر السابق.
26- الحياة الجديدة، فلسطين، 14 ديسمبر 2004
27- المصدر السابق
28- المصدر السابق
29- المصدر السابق
30- المصدر السابق
31- مركز الصحافة الدولي، 2 أيار مايو 2006. http://www.ipc.gov.ps/ipc_new/arabic/print.asp?name=15699
32- المصدر السابق